

صيانة الأعراس

النور

مجلة إسلامية ■ ثقافية ■ شهرية ■ تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ■ العدد ٥١٠ - السنة الثالثة والأربعون - جمادى الآخرة ١٤٣٥ هـ - الثمن جنيهان



الحمد لله .. هذا ديننا

■ والديك ضمهما في عينيك

■ الأسباب الجالبة للرزق

■ القلب القاسي

السلام عليكم

أخلاق الكبار

كان لأبي حنيفة جَارٌ من الكياليين مُغرم بشرب الخمر، وكان أبو حنيفة يُحْيِي الليل بالقيام، ويُحْيِيه جاره الكيال بشرب الخمر والغناء قائلاً:

اضاعوني وأني فتى اضاعوا

ليوم كريمة وسداي ثغر

يعني: اضاعه الناس فصار خُمَارًا لا يصلح للحرب ولا لحراسة الثغور والحدود، فاخذته الشرطه ليله فوقع في الحبس، وفقد أبو حنيفة صوت هذا الخُمَار، فسأل عنه فعرف أنه في الحبس، فلما أصبح أبو حنيفة لبس وخرج إلى الأمير فاستأذن، وكان لا يأتي إلى الأمراء إلا نادراً، فأقبل عليه الأمير بوجهه وقال: أمرٌ مهم جاء بك يا أبا حنيفة، قال: نعم؛ أصلح الله الأمير؛ جَارٌ لي من الكياليين أخذته الشرطة فهو في حبسك، فأمر الأمير بإطلاق كل مَنْ أُخِذَ في تلك الليلة؛ إكراماً لأبي حنيفة، فأقبل الكيال على أبي حنيفة مُتَشَكِّراً له، فلما رآه أبو حنيفة قال له مازحاً ومُعَرِّضاً ومُذَكِّراً له بغنائه لعله يتركه: اضعنك يا فتى، فقال الفتى: لا والله؛ ولكنك بررت وحفظت!!

ما أحوج الدعاة والمصلحين إلى أخلاق الأنبياء والصالحين؛ ليرغب الناس في هذا الدين.

التحرير

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالاً ، الامارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالاً ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا ٢ دولار ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحواله فورية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحواله الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون
٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو مايعادلها.
ترسل القيمة بسويقت أو بحواله بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة - حساب رقم / ١٩١٥٩٠

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي: q.tawheed@yahoo.com

التحرير

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧، فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير،

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

تتقدم لاختاري كرتونة كاملة تحتوي على ٤٠ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٠ سنة كاملة

مهاجاة
كبرى

فاعلم أنه لا إله إلا الله



جماعة انصار السنة المحمدية
صاحبة الامتياز

رئيس مجلس الإدارة

د. عبد الله شاكرا الجنيدي

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيك

د. مرزوق محمد مرزوق

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي

السنة الثالثة والأربعون / العدد : ٥١٠ - جمادى الآخرة ١٤٣٥

في هذا العدد

- ٢ افتتاحية العدد : الرئيس العام
- ٦ أسئلة القراء عن الأحاديث : المحدث أبو إسحاق الحويني
- ٨ دراسات قرآنية : مصطفى البصراي
- ١٠ باب التفسير : د. عبد العظيم بدوي
- ١٤ من فضائل الصحابة : د. عبد المحسن العباد
- ١٧ باب السنة : د. مرزوق محمد مرزوق
- ٢١ درر البحار : علي حشيش
- ٢٣ منبر الحرمين : الشيخ صالح بن حميد
- ٢٦ باب العقيدة : الرئيس العام
- ٣٠ القلوب والفتن : د. جمال المراكبي
- ٣٤ الدعاء قرع لأبواب السماء : أحمد صلاح
- ٣٦ واحة التوحيد : علاء خضر
- ٣٨ دراسات شرعية : متولي البراجيلي
- ٤٢ صيانة الأعراض : الشيخ مصطفى العدوي
- ٤٦ أنواع التربية الواجبة : د. أحمد فريد
- نظرات في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم :
- ٤٩ جمال عبد الرحمن
- ٥٣ تحذير الداعية من القصص الواهية : علي حشيش
- ٥٧ قرائن اللغة والنقل والعقل : د. محمد عبد العليم الدسوقي
- ٦١ والديك ضعها في عينيك : عبده الأقرع
- ٦٤ من عوامل الصبر والثبات : المستشار أحمد السيد علي
- ٦٧ باب الفقه : د. حمدي طه
- ٦٩ القصة في كتاب الله : عبد الرزاق السيد عيد
- ٧١ باب الفتاوى



٧٥٠ جنيهاً شمع التكرتوتة للأفراد والهيئات والجمعيات
داخل مصر و٢٦٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن
التوزيع الداخلي : مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

منفذ البيع
الوحيد بمقر
مجلة التوحيد
الدور السابع

الحمد لله مجيب من دعاءه، ومُعطي من طلب منه ورجاه،
والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه، ومن
سلك سبيله واقتفى أثره إلى يوم الدين، وبعد:

فقد ذكرت في اللقاء الماضي لحظة يسيرة عن فضل الدعاء
ومكانته، ورأيت أن الموضوع بحاجة إلى مزيد بسيط وبيان في
بعض المسائل المتعلقة بالدعاء، فأحببت أن أتعرض لها في هذا
اللقاء؛ تكميلاً للفائدة، ورغبة أن أنال دعوة صادقة صالحة.

ومن هذه المسائل ما يلي:

الأولى: حاجة العبد إلى الدعاء:

جميع العباد فقراء إلى الغني الحميد سبحانه، فهو الذي بيده
ملكوت كل شيء، وخزائن العالم بأسرها بيديه، والعبد لا يملك
لنفسه ضراً ولا نفعاً، ولو ترك لنفسه لحظة لهلك وضاع، ولهذا
فالعبد في كل لحظة بحاجة إلى ربه ومولاه، ومن هنا أمر الله عباده
بدعائه فقال: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر: ٦٠]، وهذا من عظيم كرم
الله وإحسانه بعباده؛ حيث أمرهم بالدعاء، ووعدهم بالاستجابة،
وهو سبحانه لا يرد مؤمناً ناجاه وطلب منه ودعاء، كما في الحديث
القدسي الذي يرويه أبو ذر - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله
عليه وسلم فيما يرويه عن ربه، وفيه أن الله تبارك وتعالى قال: «يا
عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا
تظالموا، يا عبادي: كلّم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا
عبادي: كلّم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي:
كلّم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي: إنكم
تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً؛ فاستغفروني
أغفر لكم، يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في
صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك
مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر». قال مسلم: قال
سعيد (وهو أحد رجال سلسلة إسناد الحديث): كان أبو إدريس
الخولاني (التابعي الذي رواه عن أبي ذر) إذا حدّث بهذا الحديث
جثا على ركبتيه. [مسلم: ٢٥٧٧].

ويظهر من هذا الحديث ضرورة افتقار العبد إلى ربه ومولاه،
وأنه لولا الله لهلك جميع العباد، كما يدل الحديث على أن الله
يحب من العباد أن يسألوه مصالح دينهم ودنياهم؛ من الطعام
والشراب والكسوة، كما يسألونه المغفرة والرحمة والإعانة على
الطاعة، وفيه كمال قدرة الله وغناه وعظمته، وأن خزائنه لا تنفد،
ولو أعطى كل السائلين في وقت واحد سبحانه جل في علاه، ما
أعظم شأنه، وقد صدق في قوله: (تَتَابَعْنَا النَّاسَ أَنْتُمْ أَفْقَرَاءَ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ
هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [فاطر: ١٥]، قال ابن كثير: «خبر تعالى بغناه
عما سواه، وبافتقار المخلوقات كلها إليه، وتذللها بين يديه، فقال:
«يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله»، أي: هم محتاجون إليه في
جميع الحركات والسكنات، وهو تعالى الغني عنهم بالذات، ولهذا
قال عز وجل: «والله هو الغني الحميد»، أي: هو المتفرد بالغنى
وجده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقول، ويقدره
ويشرعه». [تفسير ابن كثير ٣/٧٤٤].

فيا عباد الله: ارفعوا أكف الضراعة إلى الله، وأنزلوا حاجتكم



اقتراحية
العبد

تذكير

الأخلاء

بأهمية

الدعاء

الحلقة الثانية

بقلم / الرئيس العام

د/ عبد الله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

وأظهروا فقركم إلى الله جل في علاه، فالدعاء من أعظم مظاهر افتقار العبد إلى الله، وحاجته لربه ومولاه.

المسألة الثانية: أسباب إجابة الدعاء:

سبق القول بأن الله تبارك وتعالى يجيب من دعاء، ويحقق مقصود من طلبه ورجاه، غير أن هناك أسباباً عظيمة يجب أن يراعيها الداعي كي يقبل الله دعاءه، نذكر منها:

١- **إطابة المطعم:** كما في الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه يقول عليه الصلاة والسلام: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) [المؤمنون: ٥١]، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّكُمْ سَتَرْضَوْنَ) [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فاني يستجاب لذلك». [مسلم: ١٠١٥].

فهذا الحديث العظيم قد اشتمل على سبب عظيم يجب أن يراعى في قبول الدعاء، إلى جانب ذكر موانعه، وأول أمر اشتمل عليه الحديث إطابة المطعم، وهو من الأسباب الرئيسة في قبول الدعاء.

٢- **السفر:** وكذلك السفر، فهو من موجبات قبول الدعاء، وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث دعوات مستجابات: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده». [حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ج ٣/١٥٦]. وإذا طال السفر كان أقرب إلى إجابة الدعاء؛ لأنه مظنة انكسار النفس بسبب طول الغربة عن الأوطان، وتحمل المشاق.

٣- **التذلل والتواضع بين يدي العزيز الغفار:** وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك، وقد أجاب ابن عباس رضي الله عنهما من سألته عن استسقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج متبذلاً متواضعاً متضرعاً، حتى أتى المصلى، فلم يخطب خطبتكم هذه، ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير، وصلى ركعتين كما كان يصلي في العيد». [حسنه الألباني، صحيح سنن الترمذي ١/١٧٣].

٤- **رفع الأيدي إلى السماء:** وقد جاء في الحديث: (يمد يديه..)، وفي حديث سلمان الفارسي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله حيي كريم، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبين». [صححه الألباني، المرجع السابق ٣/١٧٩].

قبول الدعاء متوقف على تحقيق شروطه وانتفاء موانعه:

ويجب أن يعلم الداعي أن قبول الدعاء متوقف على تحقيق شروطه وانتفاء موانعه، وبعض الناس يقول: دعوت كثيرًا دون إجابة؟

والجواب عن ذلك: أن الدعاء سبب مقتض لنيل المطلوب، ونيل المطلوب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه وانتفت موانعه تحقق المطلوب وإلا فلا، كما هو الشأن في جميع الأعمال الصالحة، لا تقبل إلا إذا استوفى المسلم شروطها، وابتعد عن موانع قبولها، والدعاء كذلك. ولإمام ابن القيم رحمه الله كلمات دقيقة حول هذا

الدعاء من أعظم مظاهر
افتقار العبد إلى الله
وحاجته لربه ومولاه؛
فارفعوا أكف الضراعة
إليه، وأظهروا فقركم
إليه.

المعنى ذاكرةً لبعض موانع إجابة الدعاء:

«إن الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره، إما لضعف في نفسه؛ بأن يكون دعاءً لا يحبه الله لما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه، وقت الدعاء، فيكون بمنزلة القوس الرخو جداً، فإن السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً، وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والشهوات واللهو وغلبتها عليها، كما في مستدرك الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل دعاءً من قلب غافل لاه». فهذا دواء نافع مزيل للداء، ولكن غفلة القلب عن الله تبطل قوته، وكذلك أكل الحرام يبطل قوته ويضعفها». [الجواب الكافي: ٩].

ومن الموانع أيضاً:

- الاستعجال: وقد دل عليه ما جاء في مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل». قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: يقول: دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء». [مسلم: ٢٧٣٥].

فاستعجال الإجابة آفة من الآفات التي تمنع ترتب أثر الدعاء عليه، وينتهي حال الداعي عندئذ إلى ترك الدعاء، وهذا معنى قوله في الحديث: «يستحسر».

- الدعاء بإثم أو نحو ذلك: ومن الآفات المانعة من قبول الدعاء دعاء الداعي بإثم أو معصية أو سوء يلحقه أو يلحق غيره، وهذا من حكمة الله تعالى ولطفه بعباده، ولو أنه أجاب العبد في كل ما يريد لترتب على ذلك مفسد عديدة تلحق بالداعي وغيره، وصدق الله في قوله: (وَلَوْ يَخِفُّ لَكَ إِلَهُكَ لَلْأَنفُسُ أَتَجِدُهَا خَيْرًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِنْ أَمْوَالِهِمْ) [يونس: ١١]، قال ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى عن حلمه ولطفه بعباده، أنه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم وأموالهم وأولادهم في حال ضجرهم وغضبهم، وأنه يعلم فيهم عدم القصد بالشر إلى إرادة ذلك، فلماذا لا يستجيب لهم - والحالة هذه - لطفاً ورحمة، كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأموالهم، أو لأولادهم بالخير والبركة والنماء». [تفسير ابن كثير ٥٤/٢].

وإذا تحققت الشروط وانتفت الموانع؛ وقع فضل الله على عبده بقبول الدعاء عاجلاً أو آجلاً، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلاً». قالوا: يا رسول الله، إذا نكث؟ قال: الله أكثر. [مسند أحمد ١٨/٣].

وللحافظ ابن حجر رحمه الله كلمات دقيقة حول هذا المعنى يقول فيها: «إن الإجابة تتنوع، فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور، وتارة يقع ولكن بغير المطلوب؛ حيث لا يكون في المطلوب

إن قبول الدعاء متوقف على تحقق شروط وانتقاء موانع كسائر الأعمال، فإذا تحققت الشروط وانتفت الموانع وقع فضل الله على عبده .

مصلحة ناجزة، وفي الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها». [فتح الباري ١١/٣٤٥].

وتتلخص شروط الاستجابة وموانعها في قول الله تعالى: (فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي)؛ فمن استجاب لله تعالى في أمره ونهيه، وصدق بوعده وأمن به فقد تحققت له شروط استجابة الدعاء وانتفت عنه موانع الإجابة، فلن يخلف الله تعالى وعده.

المسألة الثالثة: وجوب اتباع السنة في الدعاء؛

من المعلوم - وهذا نؤكد عليه كثيراً - أن الدعاء حق خالص لله، لا يجوز صرفه إلى غيره، ولا يجيب ويسمع الدعاء إلا الله، ومن قال: لا إله إلا الله، ثم دعا غير الله، فقد هدم إيمانه، وقضى على ما قاله ونفاه.

وكذلك يجب اتباع الهدي النبوي في الدعاء، فالدعاء عبادة، والعبادة مبناه على التوقيف والاتباع.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «لا ريب أن الأذكار والدعوات من أفضل العبادات، والعبادات مبناه على التوقيف والاتباع، لا على الهوى والابتداع، فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة...، وليس لأحد أن يسئ للناس نوعاً من الأذكار والأدعية غير المسنون، ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها، كما يواظبون على الصلوات الخمس، بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به، بخلاف ما يدعو به المرء أحياناً من غير أن يجعله للناس سنة، وأما اتخاذ ورد غير شرعي واستئذان ذكر غير شرعي، فهذا مما ينهى عنه، ومع هذا ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة، ونهاية المقاصد العلية، ولا يُعدل عنها إلى غيرها من الأذكار المحدثنة المبتدعة إلا جاهل، أو مفزط أو معتد». [مجموع الفتاوى ٥١٠/٢٢، ٥١١].

ويستثنى من ذلك دعاء المرء لنفسه، فلا بأس أن يدعو المرء لنفسه بغير المأثور، بشرط ألا يجعل ذلك ديناً لغيره، فقد ورد من الأدلة العامة والخاصة من الكتاب والسنة ما يدل على جواز الدعاء بغير المأثور، وأنه موافق لأصول الشرع وقواعده ونصوصه وعموماته؛ طالما التزم الداعي فيه بأداب الدعاء الشرعية، وإن كان الالتزام بالمأثور أولى وأفضل، فهذا بخلاف الأذكار الشرعية التي هي دين وسنة نبوية.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يهتم بتعليم أصحابه الذكر والدعاء، كما في حديث مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات». [مسلم: ٥٩٠].

وكان يصوب من يخطئ منهم ولو في لفظ واحد من الفاظ الذكر والدعاء، كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابتك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت، فإن مت متاً على الفطرة، واجعلهم آخر ما تقول، فقلت أستذكرهن: وبرسولك الذي أرسلت، قال: لا ونبيك الذي أرسلت». [البخاري: ٢٤٧، ومسلم: ٢٧١٠].

قال ابن حجر في شرحه للحديث: «وأولى ما قيل في رده صلى الله عليه وسلم على من قال الرسول بدل النبي أن الفاظ الأذكار توقيفية». [فتح الباري ١١/١١٢].

وقد أحدث الناس في الدعاء بدعاً كثيراً وأوراداً غير مشروعة، والخير كل الخير في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وليحذر الداعي من استعمال آلات الطرب والغناء في الدعاء، فهو بدعة منكرة، يقول فيه الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله -: «وقد أجمع المسلمون على أن هذا من أسوأ أنواع الاعتداء في الذكر والدعاء، وأنه بدعة ضلالة، وعمل محرم قبيح لا يبيح التقيد به مسلم، وأنه من الفتون واتباع الهوى، وإفساد الدين، والصد عن الذكر والدعاء المشروع، ومشاقة لله فيما شرع لعباده، ومعصية لرسوله صلى الله عليه وسلم فيما بلغ من وحيه، وخروج على شرعه المظهر». [تصحيح الدعاء: ص ٧٦].

والقرآن الكريم مليء بجوامع الدعاء، وفي السنة النبوية ما يكفي ويشفي، فعلى العبد لزوم ما جاء في الكتاب والسنة، ولينته عن الأذكار المحدثنة المبتدعة، حتى لا يكون من المعتدين في الدعاء، والله تعالى يقول: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُتَكِبِينَ) [الأعراف: ٥٥]، يقول ابن تيمية رحمه الله: «وينبغي للخلق أن يدعو بالأدعية الشرعية التي جاء بها الكتاب والسنة، فإن ذلك لا ريب في فضله وحسنه، وأنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين وحسن أولئك رفيقاً». [مجموع الفتاوى ٣٤٦/١].

أسأل الله تعالى أن يلهمنا الدعاء، وأن يوفقنا إليه، وأن يحقق الجواب، إن ربي على كل شيء قدير.

١- يسأل سائل عن حديث «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحت بالله مؤمناً حقاً. قال: انظر ما تقول؛ فإن لكل قول حقيقة.. قلت: هذا حديث منكرو.

أخرجه محمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٦٢) قال: حدثنا محمد بن مقاتل. وأبو عبد الله الماليني محمد بن جعفر بن محمود بن حسان في «أحاديثه» (ق ١/ ٣٥-٢) عن عبد الجبار بن العلاء. والبيهقي في «الشعب» (١٠٥٩٠) عن أبي الصلت الهروي قالوا: ثنا يوسف بن عطية الصفار قال: سمعت ثابت البناني يذكر عن أنس بن مالك قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استقبله شاب من الأنصار. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحت بالله مؤمناً حقاً. قال: «انظر ما تقول فإن لكل قول حقيقة». قال يا رسول الله: «عزفت نفسي عن الدنيا» فأسهرت ليلي وأظلمات نهاري، وكانني بعرش ربي بارزاً، وكانني أنظر إلى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها، وأنظر إلى أهل النار كيف يتعاونون فيها. فقال أبصرت فالزم، عبد نور الله الإيمان في قلبه. قال: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة، قال: فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنودي يوماً في الخيل وكان أول فارس استشهد وأول فارس ركب، فبلغ أمه فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقالت: أخبرني عن ابني إن يكن في الجنة لم أبك عليه، وإن يك غير ذلك بكيت عليه ما عشت في الدنيا. قال: يا أم الحارث، إنها ليست جنة، ولكنها جنة من جنان، وإن الحارث في الفردوس الأعلى. قال: فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة.

وأخرجه البزار (٦٩٤٨) - (البحر) قال: حدثنا أحمد بن محمد الليثي. والعقيلي في: «الضعفاء» (٤/ ٥٥) عن بكر بن خلف قال: ثنا يوسف بن عطية الصفار بهذا الإسناد إلى قوله: «عبد نور الله قلبه» قال العقيلي: «ليس لهذا الحديث إسناد يثبت» يعني: لأوله، أما آخره فهو ثابت كما حققته في «الفتاوى الحديثية» (٣٤٩)، وعلة هذا الحديث يوسف الصفار هذا؛ فإنه تالف.

وأخرجه أبو القاسم البغوي في «معجم الصحابة» (٢/ ٧٥) والبيهقي في: «الشعب» (١٠٥٩١) والطبراني في الكبير (ج ٣/ رقم ٣٣٦٧) وعنه أبو نعيم في: «معرفه الصحابة» (٢٠٦٩) عن محمد بن العلاء. وعبد بن حميد في: «المنتخب» (٤٤٥) قال: حدثنا زيد بن الحباب ثنا ابن لهيعة ثنا خالد بن يزيد السكسكي عن سعيد بن أبي هلال المدني عن محمد بن أبي الجهم عن حارث بن مالك الأنصاري أنه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا حارث كيف أصبحت قال: أصبحت مؤمناً حقاً، فقال: «انظر ما تقول؛ إن لكل حق حقيقة» قال: «ألست قد عزفت الدنيا عن نفسي، وأظلمات نهاري وأسهرت ليلي، وكانني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكانني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكانني أنظر إلى



أسئلة القراء عن الأحاديث



المحدث

أبو إسحاق الحويني

إعداد

به عمرو بن عون عن حفص بن سليمان المقرئ، عن عبد العزيز».

قلت: أما عمرو بن عون فثقة حافظ، والآفة من شيخه حفص بن سليمان صاحب القراءة المشهورة عن عاصم، فهو متروك.

والصحيح في هذا الباب هو حديث رافع بن خديج أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أصبحوا بالصباح، فإنه أعظم للأجر». وفي لفظ: «أسفروا بالفجر.....»

أخرجه أبو داود (٤٢٤)، والنسائي (١/ ٢٧٢)، وابن ماجه (٦٧٢)، والدارمي (١٢١٨، ١٢١٩)، وأحمد (٣/ ٤٦٥ و ٤/ ١٤٠، ١٤٢)، والحميدي (٤٠٩) وأبو نعيم الفضل بن دكين في «كتاب الصلاة» (٣١٤)، وصححه ابن حبان (١٤٨٩، ١٤٩١) من طريق محمد بن عجلان عن عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خديج بهذا.

وهذا إسناد جيد. وقد توبع ابن عجلان. تابعه محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة بهذا. أخرجه الترمذي (١٥٤) والدارمي (١٢١٧) وأحمد (٣/ ٤٦٥). وصححه ابن حبان.

٣- ويسأل سائل عن حديث: من علق في مسجد قنديلأ صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يطفأ ذلك القنديل، ومن بسط فيه حصيراً صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يتقطع ذلك الحصير، ومن أخرج منه قذاة كان له كفلان من الأجر».

قلت: هذا حديث موضوع. أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١٠٨) والسهمي في: «تاريخ جرجان» (ص ١٣١)، والرافعي في «أخبار قزوين» (٤/ ١٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٣/ ١٥٢)، وابن الجوزي في «الواهيات» (٦٨٢) من طريق عاصم بن سليمان الكوزي ثنا برد بن سنان عن مكحول عن الوليد بن العباس عن معاذ بن جبل مرفوعاً.

وهذا سند موضوع. وعاصم بن سليمان الكوزي ذكره ابن حبان وقال: هو صاحب الحديث: شرب الماء علي الريق يعقد الشحم...

ومن روى مثل هذا كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات لا يحل كتابه حديثه إلا على جهة التعجب: «وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح. قال الفلاس: كان عاصم بن سليمان يضع الحديث. وقال النسائي: متروك. وكذبه الدارقطني ووقع في تاريخ جرجان: «ثور بن يزيد» بدل «برد بن سنان».

وإلى لقاء في عدد قادم إن شاء الله.

أهل النار يتضاغون فيها، يعني يصيحون. قال: يا حارثة عرفت فالزم. ثلاث مرات.

وإسناده ضعيف جداً وابن لهيعة ضعيف، ومحمد بن أبي الجهم لا أعلم من حاله شيئاً.

وأخرجه أبو نعيم أيضاً (٢٠٧٠) قال: أخبرنا خيثمة بن سليمان إجازة ثنا محمد بن عيسى بن حبان ثنا محمد بن الفضل بن عطية عن غياث بن المسيب عن سليمان بن سعيد بن أبي بردة عن الربيع بن لوط عن الحارث بن مالك بهذا. وسنده ساقط، ومحمد بن الفضل قال: أحمد: حديثه حديث أهل الكذب.

وكذبه عمرو بن علي الفلاس، وكذلك ابن أبي شيبه والنسائي، وقال صالح جزرة: يضع الحديث. وأخرجه ابن الأعرابي في «المعجم» (٢٠٦) والبيهقي في: «الشعب» (١٠٥٩٢).

عن عبد الرزاق وهو في «المصنف» (٢٠١١٤) من طريق صالح بن مسمار وجعفر بن برقان معضلاً. وكذلك أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣١٤) عن صالح بن مسمار. وأخرجه ابن أبي شيبه (٤٣/ ١١) قال: حدثنا ابن نمير ثنا مالك بن مغول عن زبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره معضلاً. وأخرجه ابن أبي شيبه أيضاً قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا أبو معشر عن محمد بن صالح الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي عوف بن مالك فذكر مثله. وإسناده منقطع. فالأمر كما قال العقيلي: ليس يثبت لهذا المتن إسناد. والله أعلم.

٢- يسأل سائل عن حديث: «لا تزال امتي على الفطرة ما أسفروا بالفجر».

قلت: هذا حديث منكر. أخرجه البزار (٨٦٤٨ - البحر) قال: حدثنا محمد بن المثني. والطبراني في «الأوسط» (٣٦١٩) قال: حدثنا سعيد بن سيار الواسطي، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: نا حفص بن سليمان، عن عبد العزيز بن ربيع، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً فذكره. قال البزار: «وهذا الكلام لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، ولا نعلم روي عبد العزيز عن أبي سلمة غير هذا الحديث، وحفص لبن الحديث، حدث بأحاديث مناكير، ولكن لما لم نحفظ هذا الحديث إلا من هذا الوجه ذكرناه عنه، وبيننا علته.

وقال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن عبد العزيز بن ربيع إلا حفص بن سليمان، تفرد به عمرو بن عون».

وأخرجه الدارقطني في «الأفراد» (٥٥٦٦ - أطرافه) من طريق عمرو بن عون بهذا الإسناد وقال: «تفرد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

ففي هذا المقال نتحدث عن مثل آخر من الأمثال في القرآن وهو من سورة الأنعام الآية التاسعة والثلاثون وهي قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا صُمٌّ وَكُمٌّ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءُ اللَّهُ يَصْلِيهِ وَمَن يَشَاءُ اللَّهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [الأنعام: ٣٩].

المعنى الإجمالي:

قال القاسمي في محاسن التاويل (٢٣٠٩/٦): في قوله تعالى: «وَأَمَّا الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا صُمٌّ وَكُمٌّ فِي الظُّلُمَاتِ، أَي: مثلهم في جهلهم، وعمى فهمهم، وسوء حالهم، كمثل الصم (جمع أصم وهو الذي لا يسمع، والبكم (جمع أبكم وهو الذي لا يتكلم)، وهم مع ذلك في ظلمات لا يبصرون، فكيف يهتدي مثلهم إلى الطريق أو يخرج مما هم فيه؟!»

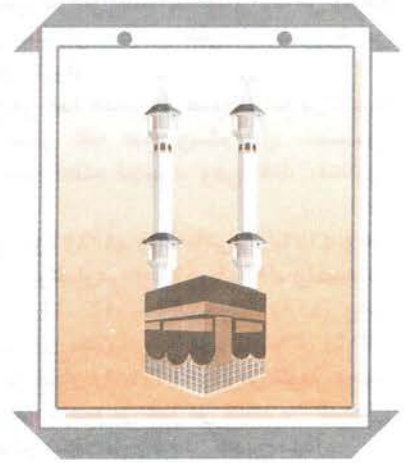
وقد كثر تشبيههم بذلك في التنزيل؛ إعلاماً ببيان كمال عراقتهم في الجهل، وانسداد باب الفهم والتفهيم بالكلية، ثم أشار إلى أنهم من أهل الطبع بقوله: «مَن يَشَاءُ اللَّهُ يَصْلِيهِ وَمَن يَشَاءُ اللَّهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أَي: فهو المتصرف في خلقه بما يشاء، فمن أحب هدايته وفقه بفضلته وإحسانه للإيمان، ومن شاء ضلالتة تركه على كفره، «ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور». اهـ. القاسمي.

وقال ابن كثير في تفسير الآية: «والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات» أَي: مثلهم في جهلهم، وقلة علمهم، وعدم فهمهم، كمثل أصم، وهو الذي لا يسمع، أبكم وهو الذي لا يتكلم، وهو مع هذا في ظلمات لا يبصر، فكيف يهتدي مثل هذا إلى الطريق؟!»

المعنى التفصيلي:

قال ابن عثيمين في تفسير سورة الأنعام ص ٢١٠: قوله: «وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا» هذه الجملة معطوفة عطف جمل، أَي: قالوا إنها كذب ولم يصدقوا بها، جاءوا للآيات الكونية، وقالوا: هذه سحر، وكما قال الله عز وجل عن قريش: (أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ وَآدَمُ الْقَمَرُ ۚ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُرْسُوا فِيهَا وَيقُولُوا مُجْرِمٌ مَّسْجُونٌ) [القمر: ١، ٢]، فكذبوا بالآيات الكونية، وكذبوا كذلك بالآيات الشرعية، ووصفوا الرسل بالكذبة وبالشعراء وبالكهنة وبالمجانين وبالمسحورين، وما أشبه ذلك، وهذا تكذيب بالآيات الشرعية. هؤلاء الذين كذبوا بآيات الله «صم وبكم في الظلمات» فلهم ثلاثة أحوال:

«صم» بأذانهم لا يسمعون الكتاب سماع انتفاع، فانسد طريق الحق عنهم من جهة السماع. «وبكم» جمع أبكم وهو الذي لا ينطق فلا ينطقون



الأمثال في القرآن

«مثل المكذب بآيات الله تعالى»

مصطفى البصراطي

إعداد:

بالحق، ولكنهم ينطقون بالباطل.

«في الظلمات» لا يبصرون، الظلمات محيطة بهم من كل جانب؛ لأن «في» تدل على الظرفية، والظرف محيط بمظروفه، فانسدَّت عليهم أبواب العلم والمعرفة: السمع والبصر والنطق، والعياذ بالله، وفي هذا قال الله عز وجل في سورة البقرة: «**هُمْ كُفِرُوا عَنْهُمْ**» لا يرجعون».

وقال صديق حسن القنوجي في فتح البيان (٣٧٠/٢): «**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**» أي: بالقرآن (صم وبكم) أي لا يسمعون بأسماعهم، ولا ينطقون بالسنتهم، نزلهم بمنزلة من لا يسمع ولا ينطق؛ لعدم قبولهم لما ينبغي قبوله من الحجج الواضحة والدلائل الصحيحة. وقال أبو علي: يجوز أن يكون صممهم وبكمهم في الآخرة.

«في الظلمات» أي في ظلمات الكفر والجهل والحيرة والعناد والتقليد؛ لا يهتدون لشيء مما فيه صلاحهم، والمعنى كائنين في الظلمات التي تمنع من إِبصار المبصرات، فضموا إلى الصمم والبكم عدم الانتفاع بالابصار؛ لتراكم الظلمة عليهم، فكانت حواسهم كالمسلوقة التي لا يُنتفع بها بحال.

وقال الشيخ ابن عثيمين في تفسير قوله تعالى: (مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُصْلِحْهُ) [الأنعام: ٣٩]: «من يشأ الله يضلله» الجملة شرطية فعل الشرط «يشأ»، وجوابه «يضلله»، أي: من يشأ الله إضلاله يضلله؛ لأن الأمر أمره عز وجل، لا معقب لحكمه، ولا اعتراض عليه، ولا يُسال عما يفعل، فنسال الله أن يهدينا فيمن هدى.

«يضلله» فيعمى عن الحق ولا يصل إليه. قوله: «**وَمَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ**» ونقدر هنا «ومن يشأ» هدايته «يجعله»، أي: يصيره على «صراط مستقيم»، أي: لا عوج فيه وهو الإسلام.

قال القرطبي في تفسيره (٢٧٢/٦): «من يشأ الله يضلله» دل على أنه شاء ضلال الكافر وأراد له لينفذ فيه عدله، ألا ترى أنه قال: «ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم» أي: على دين الإسلام لينفذ فيه فضله، وفيه إبطال لمذهب القدرية، والمشية راجعة إلى الذين كذبوا، فمنهم من يضلله، ومنهم من يهديه.

من فوائد الآية:

الفائدة الأولى: بيان حال الذين كذبوا بآيات الله، وأنه لا سبيل إلى هدايتهم؛ لأنهم صم لا يسمعون الحق سماع انتفاع، وكذلك هم في الظلمات، وأنهم لا ينطقون بالحق.

ولو قال قائل: الذين يحرفون الآيات هل يدخلون في قوله تعالى: «والذين كذبوا بآياتنا»؟

والجواب: التحريف بمعنى التأويل، فإذا كان تأويل إنكار فربما يدخلون في هذه الآية، أما إذا كان تأويلاً عن اجتهاد فهم لا يدخلون في هذه الآية، وليسوا بمعاندين، والتأويل يُقبل إذا كان اللفظ يحتمله، وهناك ما يرجح المعنى الآخر، لكن إذا كان لا يحتمله اللفظ فهم معاندون فيشبهون الذين جحدوا، وهل الذين لا يعملون بهذه الآيات يدخلون في الذين كذبوا بآيات الله؟

الجواب: لا يدخلون، هؤلاء مستكبرون. **الفائدتان الثانية والثالثة:** أن من شاء الله هدايته اهتدى، وأن من شاء إضلاله ضل، ويتفرع على هذه الفائدة أن يلجأ الإنسان إلى ربه تبارك وتعالى بطلب الهداية، والاستعاذة من الغواية؛ لأن الأمر بيد الله، فإن قيل: وهل هذه المشيئة مشيئة مجردة بدون حكمة، أو أنها مشيئة مقرونة بالحكمة؟

فالجواب: أنها مشيئة مقرونة بحكمة، وهذا هو المتعين؛ لأن جميع أفعال الله - تبارك وتعالى - وأحكامه كلها مقرونة بالحكمة، انظر في أحكام الله، قال الله تعالى في آية المواريث: (فَرِيشَةُ مَنْ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [سورة: ٦٠]، وقال تعالى في الأمور القدرية: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) [الإنسان: ٣٠]، فلا مشيئة مجردة في أفعال الله وأحكامه، بل هي مقرونة بالحكمة.

فإن قيل: وهل هذه الحكمة معلومة للخلق؟ فالجواب: قد تكون معلومة، وهذا - والحمد لله - هو الأكثر، وقد تكون مجهولة لبعض الناس دون بعض، وقد تكون مجهولة لجميع الناس؛ لأنهم لا يحيطون بالله علماً.

الفائدة الرابعة: أن الصراط هو دين الإسلام مستقيم لا اعوجاج فيه ولا انحراف فيه، ولا شقاء فيه، ويضاف إلى ذلك أنه لا تناقض فيه؛ لأنه لو كان فيه تناقض لم يكن مستقيماً.

فإن قال قائل: هل للإنسان حجة على الله إذا أضله وهدى آخرين؟

فالجواب: لا؛ لأن الهداية فضل من الله عز وجل، وفضل الله يؤتيه من يشاء، والإضلال لا بد أن يكون مبنياً على حال العبد، لقوله تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) [الصف: ٥]، ولقوله تعالى: (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمَ أَنَا بِمُيَدَاتِهِمْ أَن يُضِلُّهُمْ يَتَخَنَّصُ دُونَهُمْ وَلَئِنْ كُنَّا مِنْ النَّاسِ لَفَاشِقُونَ)

[المائدة: ٤٩]، فالحاصل أن الله تعالى يضل ويهدي من يشاء لحكمة، ولا بد أن يكون الإضلال من جراء فعل العبد.

انتهت الفوائد من كلام ابن عثيمين تفسير الأنعام ص ٢١١.

وأخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

سورة فصلت

باب التفسير

الحلقة الخامسة

«وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْزَلَتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَبْرٌ مِمَّنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمَنَ لَوْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا قَالُوكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ؕ أَفَعَجِبُ وَعَرَفُوكَ فَهُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَرَحْمَةٌ وَلِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُّونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكُنُوا عَلَىٰ شَاكٍ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلْبُهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَمِيدِ » [فصلت: ٣٧-٤٦].

د. عبد العظيم بدوي

إعداد

الْمَغْرِبَ فَهَيَّتَ الَّذِي كَفَرُوا أَنَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [البقرة: ٢٥٨]، وقال تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ ﴿٧٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ أَمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٩﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ. وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [القصص: ٧١-٧٣].

ولقد ملكت عظمة الشمس والقمر قلوب بعض الناس فعبدوهما من دون الله، فقال الله تعالى لهم: (لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)، فإن كنتم رأيتم الشمس والقمر عظيمتين، فإن عظمتكما

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

من دلائل التوحيد الليل والنهار والشمس والقمر:

يقول تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) ومن آياته الدالة على أنه لا إله إلا هو الليل والنهار، والشمس والقمر، فهو سبحانه الذي خلقهن، وهو الذي يسخرهن، (الشمس والقمر بحسبان) [الرحمن: ٥]، (كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ) [القمان: ٢٩]، (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) [يس: ٤٠]، ولا يستطيع أحد أبداً أن يغير هذا النظام ولا أن يبدله، وذلك أكبر دليل على أن الله الذي خلقهن وسخرهن هو الأحق بالعبادة، وبذلك أقام الخليل إبراهيم عليه السلام الحجة على النمرود، كما قال تعالى: (أَتَمْ كَرَّ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنْ

وَرَبُّنَا وَمَخْلَأَ (٢٩) وَحَدَائِقِ غُلَابٍ (٣٠) وَفَيْكِهِ وَابًا (٣١) مَنَعًا لَكَ
وَلَا تُنْكِرُ (عبس: ٢٤ - ٣٢)، وقال تعالى: (أَفَرَأَيْتُمْ
مَا تَحْرُثُونَ (٣٢) أَأَنْتُمْ زُرْعُوهٗ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٣٣) لَوْ شَاءَ
لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَتَنَافَعُوهُمْ (٣٤) إِنَّا لَنُغَرِّمُونَهُ (٣٥) لَوْلَا
نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٣٦) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٣٧) أَأَنْتُمْ
أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٣٨) لَوْ شَاءَ لَجَعَلْنَاهُ آجَا
فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ) (الواقعة: ٦٣ - ٧٠)، وقال تعالى: (أَمَنْ
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ
تُكْسِرُوا شُجْرَهَا أَوْ يَهْدِيَهُمْ اللَّهُ بِدَلِيلٍ يُغَيِّرُونَ) (النمل: ٦٠).

فإحياء الأرض الموات من دلائل التوحيد، وهو
أيضا من دلائل البعث بعد الموت، ولذلك قال

تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ أَحْيَاكَ اللَّهُ الْمَوْتُ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ)، فكما يحيي الله تعالى الأرض الميتة بالماء
كذلك يحيي موتى بني آدم يوم القيامة، وقد كثر
في القرآن الكريم هذا التشبيه.

قال تعالى: (وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
لَقَالُوا خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ
الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
(٢) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً
مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ) (الزخرف: ٩ - ١١).

وقال تعالى: (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْدِكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ
جَنَّتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (١) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ
(٢) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ) (ق: ١١ - ١٢)، أي كذلك يكون خروجكم من الأرض يوم
القيامة، كما أخرج الله تعالى النبات من الأرض
بإنزال الماء عليها من السماء.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ
أَرْبَعُونَ». قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ:
أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ:
أَبَيْتُ. قَالَ: «ثُمَّ يُنْزَلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ. فَيَنْبُتُونَ
كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يُبْلَى
إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ
الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [صحيح البخاري: ٤٨١٤].

ولما أبان الله تعالى آيات التوحيد وأظهرها لكل
ذي لب، توعد الذين عموا عنها، ولم يؤمنوا بها،
فقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ

تدل على عظمة خالقهما، فهو أحق بالعبادة
منهما، وهذا الذي صرح به الهدد، حين رأى
أهل سبا يسجدون للشمس من دون الله، كما قال
تعالى في قصة سليمان عليه السلام: (وَتَقَدَّرَ الطَّيْرُ
فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَالِكِينَ (٢٠)
لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطٰنٍ
مُّبِينٍ (٢١) فَكَفَّ غَيْرَ بِعَبِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ
بِهِ وَشِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِي يَمِينَ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ أُمْرَأَةً
تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣)
وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمْ
الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤)
أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
الْعَظِيمِ) (النمل: ٢٠ - ٢٦).

ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (فَإِنِ
اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (١)، يقول سبحانه: فإن استكبروا
عن السجود لله سبحانه وتعالى، وعن إفراجه
بالعبادة بعد إظهار هذه الأدلة، وإقامة هذه
البراهين، وأبوا إلا أن يسجدوا لغيره استقلالاً
أو معه، فإن الله تعالى غني حميد، مستغن عن
عبادتهم بعبادة الملائكة المقربين، الذين (سُبحون
لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (٢) أي لا يملون من
كثرة التسبيح والتحميد، ولا يفترون عن ذكر الله
وعبادته والسجود له.

ومن دلائل التوحيد إحياء الأرض بعد موتها:

(وَمِنْ آيَاتِهِ) الدالة على عظيم قدرته وكمال
سلطانه ووحدانيته، (أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً) أي
يابسة ميتة، لا حياة فيها، ولا حركة لها، (فإذا
أنزلنا عليها الماء) أي المطر، (اهتزت) بالنبات،
(وربت) أي زادت وارتفعت، ولولا الله ما أنبتت
كلاً، ولا أخرجت عشباً. قال تعالى: (هُوَ الَّذِي
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ
فِيهِ ثَمَرَاتٌ (١٠) يُثْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ
وَالْأَخْضِلَ وَالْأَنْعَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل: ١٠ - ١١)، وقال
تعالى: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَا صَبَّأُ الْمَاءَ صَبًّا (٢٥)
ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَبْيْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَيْنًا وَقَضْبًا (٢٨)

وَلِنَّا لَهُ الْخِطُوطُونَ [الحجر: ٩].

وقوله تعالى: (تَزِيلُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) بيان لمصدر هذا القرآن، وأنه كلام الله الحكيم، في أفعاله وأقواله، وأوامره ونواهيه، فله الحمد في الأولى والآخرة.

ثم عزي الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وواساه فيما يسمع من قومه من الأذى والتكذيب،

فقال تعالى: (مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ)، كما قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنَزِّلُ عَلَيْنَا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [البقرة: ١١٨]، وقال تعالى: (كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَلْهُ أَوْ مِجْنُونَ) [الذاريات: ٥٢-٥٣]،

والمقصود حث النبي صلى الله عليه وسلم على الصبر، والتأسي بإخوانه النبيين في ذلك، حتى يأتي وعد الله، كما قال تعالى: (وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَآوَدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ) [الأنعام: ٣٤].

ثم يفتح الله تعالى باب التوبة أمام العصاة والمعاندين والمكذبين، ويحذرهم من الإصرار،

فيقول سبحانه: (إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ)، فهو سبحانه ذو مغفرة لمن تاب وأناب، وذو عقاب أليم لمن أصر واستكبر.

وهذه الآية كقوله تعالى: (وَلِنْ رَبِّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنْ رَبُّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) [الرعد: ٦]،

وقوله تعالى: (تَجِ عِبَادِي آتَى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [الحجر: ٤٩-٥٠]،

وقوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) [الأنعام: ١٦٥].

ولما قال تعالى في أول السورة: (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) قالوا: لو كان هذا القرآن أعجميا! فأعلم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن هذا السؤال منهم على سبيل التعنت، وأنه لو أجابهم إلى ما سألوا لم يؤمنوا، فقال تعالى: (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي) يريدون كيف يكون

علينا) أي: يميلون عن حُججنا وأدلتنا، ويمرون عليها وهم عنها معرضون، ويزيغون عنها تكديبا لها وجحودا، (لا يخفون علينا)، فالله بهم عليم، ولا قوالهم سميع، وبأعمالهم بصير، وسيجزئهم بما كانوا يعملون، كما سبق في السورة، (فَلَنَذِقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) [٧] ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ [فصلت: ٢٧-٢٨]، فاي الفريقين خير؟ (أفمن يلقي في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة؟) فليختر كل امرئ لنفسه ما يشاء، فقد ظهر سبيل الرشاد الذي يوصل إلى الجنة، وظهر سبيل الغي الذي يقضي إلى النار، ف (اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير).

وهذا السياق أشبه ما يكون بقوله تعالى: (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِثُوا يَعْثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) [٣٠] إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) [٣١] أُولَئِكَ هُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُتُورٍ وَيَسْتَرْقُونَ مُتَنَبِّئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا [الكهف: ٢٩-٣١].

فضل القرآن الكريم وجزاء من كفر به:

يقول تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ):

(إن) حرف تأكيد ونصب، والموصول وصلته اسم (إن)، و (الذكر) هو القرآن الكريم، كما قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: ٩]، وخبر (إن) محذوف، لتفخيم شأنه، وتعظيم أمره؛ لأن التهديد بالمجهول أبلغ في الزجر من التصريح به.

ثم وصف الله الذكر الذي كفروا به بما يدل على عظيم جرمهم، فقال: (وإنه لكتاب عزيز) لأنه كلام الله العزيز، (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) [الزخرف: ٤]، لأنه كلام الله العلي الحكيم.

ولعزته (لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أي لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيه بالتغيير والتبديل، ولا بالزيادة والنقصان، لأن الله حافظه، كما قال سبحانه: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ

الكتاب أعجميا والرسول عربيا؟! كما قال تعالى: (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٣٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ) [الشعراء: ١٩٩]، فالقوم معاندون ومستكبرون، ولو جاءتهم كل آية لا يؤمنون، كما قال تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ بِآيَةٍ لَّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٣٩﴾) وَتَقَلِّبُ آفِيدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٤٠﴾) وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَتَلَكَّةَ وَلَكَّمْهُمُ الْتَوَكُّ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ فَيَلَا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ [الأنعام: ١٠٩ - ١١١].

ثم بين الله تعالى فضل القرآن وبركته، وأهله الذين ينتفعون به، فقال تعالى: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبُشْرًا) [البقرة: ١٢٩]، فالقرآن الكريم هدى وشفاء للذين آمنوا دون غيرهم، فهو هدى يهديهم إلى صراط الله المستقيم، وشفاء لما في صدورهم من أمراض الريب والشك، والنفاق والكفر، وهو أيضا شفاء للأبدان من الأمراض والأسقام والأوجاع، فمن كان مريضا فليضع يده على موضع الألم، وليقرأ الفاتحة، والمعوذات، يبرأ بإذن الله.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْمَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمَعْذُودَاتِ، فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ يَهْنُ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا [صحيح البخاري: ٥٧٣٥].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْبَاءِ الْعَرَبِ فَلَمْ يَقْرُؤْهُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ لَغِ سَيِّدٌ أُولَئِكَ فَقَالُوا هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ؟ فَقَالُوا: إِنْكُمْ لَمْ تَقْرُؤُوا، وَلَا نَفْعُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعَلًا. فَجَعَلُوا لَهُمْ قِطْعًا مِنَ الشَّاءِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأَمِّ الْقُرْآنِ، وَيَجْمَعُ بَرَأَقَهُ، وَيَنْفُلُ قَبْرًا، فَأَتَوْا بِالشَّاءِ، فَقَالُوا لَا نَأْخُذُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَسْأَلُوهُ فَضَحِكَ، وَقَالَ: « وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ، خَذُوهَا، وَأَضْرِبُوهَا لِي بِسَهْمٍ » [صحيح البخاري ٥٧٣٦].

فهذه بركة القرآن التي ينتفع بها المؤمنون،

أما الذين لا يؤمنون فهم منها محرومون، ولذلك قال تعالى: (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى)، فهم صَمٌّ بكم عمى، وهم مع ذلك (ينادون من مكان بعيد)، والسميع حين ينادى من مكان بعيد لا يسمع، فكيف بالأصم؟! ولذلك قال تعالى: (إِنَّ الْأَذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾) حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غُشُوءًا وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [البقرة: ٦ - ٧].

ومرة ثانية يؤكد الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن موقف قومه منه هو نفسه موقف السابقين من رسلهم، فيقول تعالى: (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فمنهم من آمن ومنهم من كفر، كما اختلف قومك فيما جئتكم به، فأنجى الله موسى والمؤمنين، وأهلك الكافرين، وسينجيك والمؤمنين، وسيهلك الكافرين، فأصبر حتى يأتي الله بامرء، ف (لِكُلِّ نَبِيٍّ مُنْتَقَرٌ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) [الأنعام: ٦٧]، (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب).

ثم بين سبحانه غناه عن عباده، وعدله معهم، فقال: (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد):

يقول تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ) [ثوابه ونفعه، ومن عمل السيئات فعلى نفسه وزرها وضررها، والله غني عن العالمين، لا تنفعه الطاعات، ولا تضره السيئات، وهو سبحانه يقضي بينهم بالقسط، فلا يهضم حقا، ولا يُحْمَلُ نَفْسًا وَزَرَ نفس أخرى، وقد صرح ربنا سبحانه وتعالى في الحديث القدسي بما صرح به في هذه الآية من غناه وعدله:

عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: « يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » [صحيح مسلم ٢٥٧٧].

وللحديث بقية إن شاء الله والحمد لله رب العالمين.

وأقوال المنصفين فيهم عموماً وفي معاوية خصوصاً

الشيخ الدكتور

عبد المحسن العباد البدر



عيونهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذابعون رحمهم الله رأوا العيون التي رآته صلى الله عليه وسلم، وأتباع التابعين رحمهم الله رأوا العيون التي رأت الصحابة رضي الله عنهم، وقد كان التابعون يفرحون فرحاً شديداً بقاء الواحد من الصحابة ويعتبرون ذلك غنيمة؛ ففي سنن أبي داود (٩٤٨) بإسناد صحيح عن هلال بن يساف، قال: «قَدِمْتُ الرِّقَّةَ، فَقَالَ لِي بَعْضُ أَصْحَابِي: هَلْ لَكَ فِي رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: قُلْتُ: غَنِيمةٌ، فَدَفَعَنِي إِلَى وَابِصَةَ، قُلْتُ لِصَاحِبِي: نَبَدًا فَنَظَرُ إِلَى دَلِهِ، فَإِذَا عَلَيْهِ قَلَنْسُوءٌ لَاطِنَةٌ ذَاتُ أُذُنَيْنِ، وَبُرْسُ خَزْ أَغْبَرُ، وَإِذَا هُوَ مُعْتَمِدٌ عَلَى عَصَا فِي صَلَاتِهِ» الحديث. ووابصة بن معبد رضي الله عنه من المعمرين كما في تقريب التهذيب لابن حجر.

فضل الصحابة رضي الله عنهم:

وقد جاء في القرآن الكريم آيات دالة على فضل الصحابة رضي الله عنهم في سور الأنفال والتوبة والفتح والحديد والحشر، بل جاء في آية سورة الفتح ذكرهم والفناء عليهم في التوراة والإنجيل قبل أن يوجدوا وقبل أن يأتي زمانهم؛ قال الله عز وجل: (يُحْمَدُ رَسُولُ اللَّهِ وَأُولَئِكَ مَعَهُ أَشِدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاءَهُمْ فِي وَجْهِهِمْ مِنْ أَفْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُ فِي الْإِنْجِيلِ كَرِيعٌ أَخْرَجَ مِنْهُ طَائِفَةٌ فَتَارَظَهُ فَاسْتَفْظَلُوا فَمَا سَمِعُوا مِنْ سَوِيَّةٍ يَعْجَبُ الْأَرْعَابُ لِعِظَمِ عَذَابِ الْكُفَّارِ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الفتح: ٢٩].

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد؛ فإن من المعلوم أن خير البشر الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه وبركاته عليهم، وخيرهم وسيدهم خاتمهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وأمته هي خير الأمم؛ كما قال الله عز وجل: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) [آل عمران: ١١٠].

وخير هذه الأمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرهم الخلفاء الراشدون الهادون المهديون: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، فقد أكرمهم الله بالوجود في زمانه وشرَّفهم بصحبته والجهاد معه، وتلقى الكتاب والسنة عنه صلى الله عليه وسلم وإبلاغهما إلى من بعدهم؛ ومن فضائلهم حديث: «خَيْرُ النَّاسِ قُرْبِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» رواه البخاري (٣٦٥١) ومسلم (٦٤٧٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، يَغْرُو فِتْنًا مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فَيْكُمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْرُو فِتْنًا مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فَيْكُمْ مَنْ رَأَى مِنْ صَحْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْرُو فِتْنًا مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فَيْكُمْ مَنْ رَأَى مِنْ صَحْبِ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ» رواه البخاري (٣٦٤٩) ومسلم (٦٤٦٧) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

والقرون الثلاثة المفضلة: قرون الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، فالصحابة رضي الله عنهم رأت

نماذج من كلام السلف في توقير الصحابة:

وكل ناصح لنفسه محب الخير لها عليه أن يمتلئ قلبه بحبهم وتعظيمهم التعظيم اللائق بهم، وأن يكون لسانه رطباً بذكرهم بالجميل اللائق بهم، فلا يذكرهم إلا بخير، وأن يحذر من ذكرهم بأي شيء لا يليق بهم مع نظافة قلبه من الغل لهم، وهذه طريقة سلف هذه الأمة من التابعين ومن جاء بعدهم، وهذه نماذج من كلامهم الجميل:

١. الإمام مالك بن أنس (١٧٩هـ) رحمه الله، قال البغوي في شرح السنة (٢٢٩/١): «قال مالك: من يبغض أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في قلبه عليه غل فليس له حق في شيء المسلمين، ثم قرأ قوله سبحانه وتعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعاً سُجَّداً) إلى قوله: (لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) الآية».

٢. الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) رحمه الله، قال في كتابه السنة: «ومن السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم أجمعين، والكف عن الذي جرى بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو واحداً منهم فهو مبتدع رافضي، حُبهم سنة، والدعاء لهم قرينة، والافتداء بهم وسيلة، والأخذ بأثارتهم فضيلة»، وقال: «لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ثم يستتبه، فإن تاب قبل منه وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يتوب ويراجع».

٣. الإمام أبو زرعة الرازي (٢٦٤هـ) رحمه الله، روى الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية (ص: ٤٩) بإسناده إليه قال: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليُبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة».

٤. الإمام أبو جعفر الطحاوي (٣٢٢هـ) رحمه الله: قال في عقيدة أهل السنة والجماعة: «ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان».

٦. الإمام أبو عثمان الصابوني (٤٤٩هـ) رحمه الله،

وفيهما أن الكفار يغاضون بهم، وفي شرح السنة للبغوي (٢٢٩/١): «وذكر بين يديه . أي الإمام مالك . رجل ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأ مالك هذه الآية: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعاً سُجَّداً) إلى قوله: (لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) ثم قال: من أصبح من الناس في قلبه غل على أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقد أصابته هذه الآية»، وفيها أن الصحابة جميعاً وعدوا بالمغفرة والأجر العظيم، وحرف (من) في قوله: (منهم) لبيان الجنس لا للتبعية، والمراد أن هذا الوعد في هذه الآية لجميع الصحابة وليس لبعضهم، وقد وصف ابن الأنباري الذين قالوا: إنها للتبعية بالزندقة، قال ابن هشام في مغني اللبيب (١٥/٢): «وفي كتاب المصاحف لابن الأنباري: أن بعض الزنادقة تمسك بقوله تعالى (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عظيماً) في الطعن على بعض الصحابة، والحق أن (من) فيها للتبيين لا للتبعية، أي الذين آمنوا هم هؤلاء».

وهذه الآية التي فيها كلمة (منهم) تعم الصحابة الأخيار مثلها آية المائدة التي فيها (منهم) وهي تعم الأشرار؛ قال الله عز وجل: **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَكُمُ الْعَذَابُ الَّذِي كُفَرُوا بِهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** [المائدة: ٧٣] فإن الوعد في آية الفتح للصحابة كلهم لا لبعضهم، والوعد في آية المائدة لكل من قال: **اللَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ** لا لبعضهم، ومثل هذا الوعد للصحابة الوعد لهم في قوله تعالى: (وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى) [التوبة: ٩٥].

أجل فضائل الصحابة الكرام:

ومن أجل فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم أنهم الوسيلة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين من جاء بعدهم، فما عرف الناس الكتاب والسنة ولا عرفوا حقاً ولا هدى إلا من طريقهم، وكل صحابي روى حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم فله مثل أجور كل من عمل به إلى يوم القيامة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ ذَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» رواه مسلم (٤٨٩٩) عن أبي مسعود الأنصاري البصري رضي الله عنه، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شيئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شيئاً» رواه مسلم (٦٨٠٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

صلى الله عليه وسلم: (سمع الله لمن حمده)، فقال خلفه: ربنا ولك الحمد، فقيل: أيهما أفضل هو أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لتراب في منخري معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير وأفضل من عمر بن عبد العزيز» البداية والنهاية (٤٤٩/١١).

٣. المعافى بن عمران الموصلي (١٨٥هـ) رحمه الله، قال وقد سئل: أيهما أفضل معاوية أم عمر بن عبد العزيز؟ فغضب، وقال للسائل: «تجعل رجلاً من الصحابة مثل رجل من التابعين؟! معاوية صاحبه وصهره وكتابه وأمينه على وحي الله» البداية والنهاية (٤٥٠/١١).

٤. الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، قال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله وسئل عن رجل انتقص معاوية وعمرو بن العاص، أيقال له رافضي؟ فقال: «إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيثة سوء، ما انتقص أحد أحداً من الصحابة إلا وله داخله سوء» البداية والنهاية (٤٥٠/١١).

٥. أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي (٢٤١هـ) رحمه الله، قال: «معاوية ستر لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه» البداية والنهاية (٤٥٠/١١).

٦. الإمام أبو زرعة الرازي رحمه الله، قال له رجل: إني أبغض معاوية، فقال له: ولم؟ قال: لأنه قاتل علياً، فقال له أبو زرعة: (ويحك إن رب معاوية رب رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فإيش دخولك أنت بينهما؟! رضي الله عنهما) البداية والنهاية (٤٢٧/١١).

٧. الإمام أبو عبد الرحمن النسائي (٣٠٣هـ) رحمه الله، قال كما في ترجمته في تهذيب الكمال للمزي، وقد سئل عن معاوية فقال: «إنما الإسلام كدار لها باب، فباب الإسلام الصحابة، فمن أذى الصحابة إنما أراد الإسلام، كمن نقر الباب إنما يريد دخول الدار؛ قال: فمن أراد معاوية فإنما أراد الصحابة».

٨. الإمام ابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) رحمه الله، قال في كتابه لمعة الاعتقاد: «ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي الله، وأحد خلفاء المسلمين رضي الله عنه».

وقد كتبت رسالة بعنوان: «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم» طبعت مفردة وطبعت ضمن مجموع كتبي ورسائلي (٢٠٥، ١٩١/٤)، ورسالة بعنوان: «من أقوال المنصفين في الصحابي خليفة معاوية رضي الله عنه» طبعت مفردة وطبعت ضمن مجموع كتبي ورسائلي (٢٤٤، ٣٩٧/٦).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال في كتابه عقيدة السلف وأصحاب الحديث: «ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتطهير الالسنه عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم أو نقصاً فيهم، ويرون الترحم على جميعهم والموالة لكافتهم».

٧. الإمام أبو المظفر السمعاني (٤٨٩هـ) رحمه الله، نقل الحافظ في الفتح (٣٦٥/٤) عنه أنه قال: «التعرض إلي جانب الصحابة علامة على خذلان فاعله، بل هو بدعة وضلالة».

٨. شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) رحمه الله، قال في كتابه العقيدة الواسطية: «ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم والسننهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله في قوله: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) [الحشر: ١٠]، وطاعة للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدُّ أحدهم ولا نصيفه)» (صحيح البخاري ٣٦٧٣).

٩. الشيخ ابن أبي العز الحنفي (٧٩٢هـ) رحمه الله، قال في شرح الطحاوية (ص: ٦٩٦): «فمن أضل ممن يكون في قلبه غل على خيار المؤمنين وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين».

١٠. الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) رحمه الله، قال في كتابه فتح الباري (٣٤/١٣): «واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من حروب ولو عُرف المحق منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً وأن المصيب يؤجر أجرين».

تذير السلف من الوقوع

في معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما:

وكل ما جاء من أحاديث وأثار في فضل الصحابة عموماً فإن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما داخل فيها، وقد جاء عن بعض السلف آثار مختصة به، وهذه نماذج منها:

١. الخليفة عمر بن عبد العزيز (١٠١هـ) رحمه الله، قال إبراهيم بن ميسرة: «ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنساناً قط إلا إنساناً شتم معاوية فإنه ضربه أسواطاً» البداية والنهاية لابن كثير (٤٥١، ٤٥٠/١١).

٢. الإمام عبد الله بن المبارك (١٨١هـ) رحمه الله، قال: «معاوية عندنا مخنة، فمن رأيناه ينظر إليه شزراً اتهمناه على القوم» يعني الصحابة، وسئل عن معاوية، فقال: «ما أقول في رجل قال رسول الله

الحمد لله . . هكذا ديننا



د. مرزوق محمد مرزوق

إعداد

باب السنة

(باللُّغَب)، ط ٣ / دار ابن كثير، تحقيق: د. مصطفى البغا.

٢- ورواه مسلم في صحيحه في كتاب التوبة (٢١٠٩/٤)، باب في سعة رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ، ط / دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣- ورواه النسائي في (المجتبى) في كتاب الجنائز (١١٣/٤) برقم (٢٠٨٠) ط ٢ / مكتب المطبوعات الإسلامية، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة.

٤- ورواه ابن ماجه في سننه في كتاب الزهد (٢ / ١٤٢١) باب ذكر التوبة ط / دار الفكر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

ثانياً: رجال الإسناد باختصار

١- عثمان بن أبي شيبة: هو عثمان بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم العبسي الكوفي، قال ابن حبان في الثقات: كان حسن الاستقامة في الحديث، وقال الخطيب: كان ثقة، وقال أحمد بن محمد بن بكر: مات سنة ٢٥٦هـ. (انظر: تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١١٢)، ط / دار الفكر.

٢- جرير: هو ابن عبد الحميد بن قرط الضبي الكوفي الرازي (يعني: نزيل الري) وقاضيه، ثقة صحيح الكتاب، مات سنة ثمان وثمانين وله إحدى وسبعون سنة. (انظر: تقريب التهذيب ج ١ ص ١٣٩).

٣- منصور: هو ابن المعتمر بن عبد الله السلمي أبو عتاب بمثناة ثقيلة ثم موحدة، الكوفي، ثقة ثبت، وكان لا يدلّس من طبقة الأعمش، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة. (تقريب التهذيب ج ١ ص ٥٤٧).

٤- ربعي بن حراش: بكسر المهملة وآخره معجمة أبو مريم العبسي الكوفي ثقة عابد مخضرم من الثانية، مات سنة مائة، وقيل غير ذلك. (تقريب التهذيب ج ١ ص ٢٠٥).

٥- حذيفة: ابن اليمان الصحابي الجليل، وانظر ترجمته في «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (١ / ٩٨-٩٩) وغيره من المصادر.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن آله وبعد:

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يُسِيءُ الظَّنَّ بِعَمَلِهِ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَخَذُونِي فَذَرُونِي فِي الْبَحْرِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، فَفَعَلُوا بِهِ، فَجَمَعَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ؟ قَالَ: مَا حَمَلَنِي إِلَّا مَخَافَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ».

مقدمة لا بد منها

بالتأمل في حديث الباب، في فوائده من خلال شروح أهل العلم عليه اخترت للمقالة عنواناً هو: (الخوف من الله من منازل المؤمنين)، وهو مستفاد من تبويب الإمام البخاري على الحديث في كتاب الرقاق، ثم اخترت عنواناً آخر ينافس الأول، وهو: (الخوف من الله من سمات التائبين)، ثم وجدت أن الحديث أصل بنفسه كضابط من ضوابط العذر بالجهل، فقلت: (العذر بالجهل والرد على بدعة التكفير)، أو (أهمية القلب في أعمال العبد)، ثم استفدت عنواناً من تبويب الإمام مسلم للحديث وهو: (رحمة الله غلبت غضبه)، كل هذا مستفاد من حديثنا هذا، ثم هداني الله إلى عنوان يجمع هذا كله بل أكثر منه وهو: (الحمد لله.. هذا ديننا)، فالحمد لله أن ديننا جمع كل هذه المحاسن وأكثر منها في حديث واحد، فالسنة سنة يا عباد الله.

أولاً: تخريج النص السالف، وعزو باقي الروايات الأخرى له

إلى مصادرها:

١- رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الرَّقَاقِ (٥ / ٢٣٧٧) بَابُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ رُبَيْعٍ عَنْ حذيفة وذكر الحديث، ورواه في كتاب الأنبياء (٣ / ١٢٧٢) بَابُ مَا ذَكَرَ عَنْ بَنِي إِسْرَافِيلَ وَفِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ (٦ / ٢٧٢٢) بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ حَقٌّ) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ

ثالثاً: الشرح

١- قوله: (كان رجل ممن كان قبلكم): يعني من بني إسرائيل (من أجل هذا ذكره البخاري في ذكر بني إسرائيل). (عمدة القاري (٢٥٦/٣٣).

فائدة: وهل شرع بني إسرائيل شرع لنا؟ سيأتي الجواب عن هذا فيما يستفاد من الحديث.

٢- قوله: (يسيء الظن بعمله): يعني بعمله الذي كان معصية، ففي صحيح ابن حبان من طريق ربعي بن حراش أنه كان نباشا للقبور يسرق أكفان الموتى، وعند أبي عوانة من حديث حذيفة عن أبي بكر الصديق أنه أخر أهل الجنة دخولا، فيكون أخر من يخرج من النار، وفي المصابيح أنه كان يقول: أجبرني من النار مقتصرًا على ذلك (شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٢٧٥/٩).

٣- قوله: (فقال لأهله: إذا أنا مت، فخذوني، فذروني في البحر): بضم الذال من الذرو وهو التفريق، ويروى بفتح الذال من التذرية، يقال: ذرت الريح الشيء ومنه (تذروه الريح). (عمدة القاري (٢٥٦/٣٣).

٤- قوله: (في يوم صائف): أي حارّ بتشديد الراء من الحرارة (وفي حديث أبي سعيد (في يوم عاصف) أي عاصف ريحه، وفي رواية مسلم (في ربح عاصف) (الفتح ٥٢٢/٦).

٥- قوله في بعض الروايات (فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذاباً لم يعذبه أحدًا من خلقه): اختلف العلماء في توجيه هذه اللفظة، وأصوبها أن الرجل لم يكن عالماً بجميع ما يستحقه الله من الصفات، ولا مدركاً للقدرة الإلهية على وجه التفصيل كما قاله شيخ الإسلام، وسيأتي بيانه إن شاء الله.

٥- (ففعّلوا به): ما أمرهم به.

٦- (فجمعه الله) عز وجل، وفي رواية (فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه. ففعلت)، وفي حديث سلمان الفارسي عند أبي عوانة في صحيحه فقال الله له: (كن فكان كأسرع من طرفة العين) (الفتح ٥٢٢/٦).

٧- (ثم قال) الله تعالى له: (ما حملك على الذي صنعت؟) قال (الرجل): (ما حملني عليه) (إلا مخافتك، فغفر له). (إرشاد الساري (٢٧٥/٩).

رابعاً: ما يستفاد من الحديث

١- الخوف من الله من منازل السائرين إليه:

ولقد بوب الإمام البخاري لهذا الحديث في كتاب الرقاق بباب الخوف من الله، يقول الحافظ ابن حجر في الفتح (٣١٣/١١) «الخوف من الله من المقامات

العلية وهو من لوازم الإيمان، قال الله تعالى: (وَحَافِظُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (آل عمران: ١٧٥). يقول الشيخ السعدي: في هذه الآية دليل على وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله. (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٢٩٤/١ - ٢٩٥).

حتى لا يختلط الأمر

وحتى لا يختلط الأمر بين المشروع والممنوع من الخوف نذكر أقسامه وانظره في: (القول المفيد على شرح كتاب التوحيد، لابن عثيمين: ١٦٦/٢).

أ- خوف العبادة، والتذلل، والتعظيم، والخضوع، وهو ما يسمى بخوف السر. والذي يكون معه اعتقاد النفع والضرر، وهذا النوع لا يجوز صرفه لغير الله.

ب- الخوف الجبلي، كالخوف من عدو، أو نحو ذلك. فهذا النوع يأخذ من الأحكام بحسب حال الخائف، فمنه ما هو محرم إن حمل على ترك واجب، أو فعل محرم، بغير ضرورة تستلزم ذلك.

ومنه ما هو مباح، كما حصل لموسى عليه السلام: (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) (القصص: ٢١)، وقد يكون واجبا إذا كان يتوصل به إلى إنقاذ نفسه، وكلا القسمين السابقين مشروع.

فائدة وحوار لبيان الممنوع من الخوف

أما الممنوع من الخوف فهو نوع غالي فيه صاحبه، حتى صار مرضاً فقطع صاحبه عن السعي، وأقعده عن الفضائل المطلوبة، والأعمال المحبوبة عند الله، فخرج الخوف بهذا عن كونه مشروعاً وصار مذموماً ممنوعاً وصاحبه يخشى عليه (انظر: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، لابن رجب: ٢٠).

«الخوف ليس مقصوداً لذاته، بل هو مقصود لغيره (قصد الوسائل)» (انظر: مدارج السالكين: ٥١٤/١).

والناظر إلى حال الصحابة. رضي الله عنهم. يرى أن الخوف قد كان غالباً عليهم؛ إذ لم يخف من الله. عز وجل. بعد النبيين أحد مثلمهم، ومع هذا لم يظهر عليهم شيء من دعاوى الغالين، مع عدم تفريطهم في الخوف من رب العالمين؛ فلم يؤثر ذلك عليهم، لا في قطع كسب وعيش، ولا في إقعاد عن فضل عمل وعبادة؛ وذلك لقوة علمهم بالله؛ ففوة العلم بالله تورث شدة الخوف منه.

ولقد أدهشني حوار دار بيني وبين أحد الأساتذة الذين أكن لهم الاحترام ولولا أن شرع الله - خاصة وإن تعلق الأمر بالعقيدة - لا مجاملة فيه ما ذكرت هذا الحوار (مختصراً له): ذكر أستاذنا أمامي مرة

من أجل هذا نقول: هذا الحديث وإن كان من شرع من قبلنا إلا أنه شرع لنا؛ لما سبق ذكره، بل وزيادة عليه أنه سيق وقد أقره النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- العذر بالجهل والرد على بدعة التكفير

من أهم ما يستفاد من هذا الحديث أنه يقرر أصلاً مهماً من أصول أهل السنة والجماعة، وهو أنهم يعزرون الجاهل بجهله، ولا يُعَيَّنُونَ بالكفر إلا بعد تحقق شروط في هذا المعين وانتفاء موانع تمنع من تنزيل الحكم عليه، ذكرها أهل العلم بالتفصيل في مظانها.

وأكتفي في عرض القضية مختصرة من خلال الكتاب وصحيح السنة وكلام السلف لاسيما شيخ الإسلام ابن تيمية المفترى عليه:

أ- قال تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) [الإسراء: ١٥].

ب- وأكتفي في السنة بحديث الباب، والنصوص في هذا كثيرة، والحمد لله.

ج- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٢٢٩/٣): «هذا مع أنني دائماً - ومن جالسني يعلم ذلك مني - أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسير وتفسير ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية، التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطايا، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر، ولا بفسق، ولا بمعصية!..»

وكنيت أبين أن ما نُقل عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا، فهو أيضاً حق، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين.. والتكفير هو من الوعيد؛ فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر، أوجب تأويلها وإن كان مخطئاً، وكنيت دائماً أنكر الحديث الذي في «الصحيحين» في الرجل الذي قال: «إذا أنا مت فاحرقوني، ثم اسحققوني، ثم نرؤني في اليوم، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين، ففعلوا به ذلك؛ فقال لله: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك، فغفر له»

صاحب كتاب (طبقات الصوفية) مادحاً له، فقلت له: ليس هو القائل في حق فلان: «وكان من كرامته أنه رضي الله عنه يمشي عارياً؟»

فقال أستاذ الحديث الذي أحترمه: وماذا في هذا إنه من شدة حبه لله وخوفه منه مشى عرياناً. فقلت متعجباً: ألا يوجد واحد من الصحابة أحب أو خاف من الله كما فعل هذا الولي؟ وأختصر كلامي تاركاً الجواب للقارئ الحبيب؛ لأنني أظن أن تقرير البديهيات لا يحتاج إلى هذه المناقشات.

وخلاصة القول: إن الخوف المطلوب هو ما كان عوناً على التقرب إلى الله بفعل ما يحبه، وترك ما يكرهه، ومتى صار الخوف من الله مانعاً من المخالفة، وحافزاً للقربى، فقد انعكس المقصود منه.

وكان يحسن بنا أن نذكر نماذج من أحوال سلفنا في خوفهم من الله، لكنني ولضيق المقام أحيلكم أيها الحبيب إلى ما كتبه أسلافنا كابن رجب في (التخويف من النار والتحذير من دار البوار) لتطلع فيه على حال هؤلاء.

٢- شرع من قبلنا شرع لنا؛ ما لم يرد في شرعنا ما يرد:

وهي مسألة مختلف فيها، والراجح، والله أعلم، هو قول الجمهور وهو أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما يخالفه، واستدلوا بأدلة كثيرة من أقوالها:

أ - أن الله عز وجل لما ذكر الأنبياء في سورة الأنعام ختم الآيات بقوله: (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)، والهدى هنا عام؛ لأنه مفرد مضاف فيشمل جميع الهدى ما لم يرد خلافه.

ب - حديث أنس قال: إن الربيع وهي ابنة النضر كسرت ثنية جارية، فطلبوا الأرض (أي: طلب أهل الربيع أن يدفعوا لأهل الجارية الدية)، وطلبوا العفو (مقابل ما سيدفعون)، فأبوا (أي: أهل الجارية) فأتوا النبي، فأمرهم بالقصاص، فقال أنس بن النضر: أتكسر ثنية الربيع يا رسول الله؟ لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيته. فقال: «يا أنس كتاب الله القصاص» فرضي القوم وعفوا فقال النبي: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره» رواه البخاري (٢٧٠٣).

وكتاب الله المراد قوله تعالى: (وَكُنْتُمْ عَلَيْهَا أَنْ أَنْفُسُ بِالنَّفْسِ وَالْمَعِينِ وَالْأَلْفِ بِالْأَلْفِ) [سورة المائدة: ٤٥] الآية، وهي في بني إسرائيل، وهذا هو تفسير جمهور شراح الحديث.

لسهل عليه عذر غيره، وقد اختلف فيه العلماء، فمنهم من رأى الاستحباب. قال ابن القيم: (أما سوء الظن بالنفس فإنما احتاج إليه؛ لأن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش، ويلبس عليه، فيرى المساوئ محاسن، والعيوب كمالات).

فعين الرضى عن كل عيب كليله

كما أن عين السخط تبدي المساويا

ولا يسيء الظن بنفسه إلا من عرفها، ومن أحسن ظنه بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه). «انظر: مدارج السالكين» (١٨٩/١)،

- ومنهم من رأى الكراهة؛ كما نقله الماوردي رحمه الله في أدب الدنيا والدين (٢٣٤-٢٣٥).

- ومنهم من قال بالموازنة بين سوء الظن وحسن الظن. (ينبغي على المرء أن - يكون في التهمة لنفسه معتدلاً، وفي حسن الظن بها مقتصدًا، فإنه إن تجاوز مقدار الحق في التهمة لنفسه ظلمها؛ فأودعها ذلة المظلومين، وإن تجاوز الحق في مقدار حسن الظن بها أمنها؛ فأودعها تهاون الأمنين. ولكل ذلك مقدار من الشغل، ولكل شغل مقدار من الوهن، ولكل وهن مقدار من الجهل) «البيان والتبيين» لأبي عثمان الجاحظ (٦٤/١).

قلت: والموازنة -والله أعلم- هي المنهج الوسط الأنسب لأحوال الناس.

فائدة أخيرة: هل يعد الندم توبة كما فعل هذا الرجل؟

الجواب: إن مجرد الندم لا يعد توبة، يقول ابن القيم في مدارج السالكين (١٨٢/١): (وشرائط التوبة ثلاثة: الندم، والإقلاع، والاعتذار، فحقيقة التوبة هي الندم على ما سلف منه في الماضي والإقلاع عنه في الحال، والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل).

والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة؛ فإنه في ذلك الوقت يندم ويقلع ويعزم، فحينئذ يرجع إلى العبودية التي خلق لها، وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة.

ولما كان متوقفاً على تلك الثلاثة جعلت شرائط له). إذن ومما تقدم فإن الندم هو جزء من التوبة وشرط من شروطها، ولا يفوتنا أن نذكر بما ورد في صحيح ابن ماجه برقم (٣٤٢٩) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الندم توبة)، والمراد أنه أول مراحل التوبة، والله أسأل كما رزقنا ديناً وسطاً قوياً أن يتوب علينا ويهديننا صراطاً مستقيماً، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

فهذا رجل شك في قدرة الله، وفي إعادته إذا ذُرِّي؛ بل اعتقد أنه لا يُعاد، وهذا كفرٌ باتفاق المسلمين؛ لكنه كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه؛ فغفر له بذلك.

وقال أيضاً (١٦٥/٣٥): «وأصل ذلك: أن المقالة التي هي كفرٌ بالكتاب والسنة والإجماع، يقال: هي كفرٌ قولاً، يطلق كما دلت على ذلك الدلائل الشرعية؛ فإن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله، ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم، ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر، حتى يثبت في حقه شروط التكفير، وتنتفي موانعه... إلي أن قال: «فإن هؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجة بالرسالة؛ كما قال الله تعالى: (إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) [النساء: ١٦٥].»

د- ومن العلماء المعاصرين: يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في (الشرح الممتع على زاد المستقنع ٦ / ١٦٣): وهذه المسألة - أعني مسألة العذر بالجهل - مسألة عظيمة شائكة، وهي من أعظم المسائل تحقيقاً وتصويراً، ومما زاد الأمر صعوبة كثرة المؤلفات فيها من جميع المناهج وكل واحد يتبنى رأيه واعتقاده، وبعضهم يستدلون بادلة ليس لها علاقة بالقضية أصلاً، ومنهم من لا يحملون كلام السلف محملاً خطأ، ومنهم من لا يفرقون بين التكفير المطلق وتكفير المعين، ومنهم من يأتي بنصوص ويترك النصوص الأخرى، ومنهم من يأتي بأقوال للعلماء ويترك أقوالهم الأخرى وهكذا، وغير ذلك من التخبط البعيد عن المنهج العلمي.

نصيحة واجبة:

هذا، وأنصح نفسي وإخواني أن نلتمس العذر لمن خالف الحق الذي نعتقده؛ حتى تُقام الحجة بضوابطها المعروفة لدى أهل العلم، وأن نعطي للمسألة حجمها من القراءة والبحث بهدوء وبلا استعجال، وأن نعلم أننا دعاة ولسنا قضاة، وأن الداعية حريص على تأليف القلوب لا تنفيرها، دعوتنا هي توحيد الناس على كلمة التوحيد، وأن واجبنا تعليم الناس وليس تكفيرهم وتبديعهم، وأننا بهذا لا نمنع القضية، ولكننا نناقش مسألة مهمة قد يؤدي التقصير في عرضها إلى تدمير المجتمع، والله المستعان.

٤- حكم سوء ظن العبد بنفسه

وهو متعلق بالفائدة السابقة فلو اتهم المرء نفسه



القسم
الثاني

دور البحار في تحقيق ضيف الأحاديث القصار

علي حشيش

إعداد

الحقة ٢١

٢١٠- «لَوْ عَاشَ إِبْرَاهِيمُ لَوْصَعَتِ الْجَزِيَّةُ عَنْ كُلِّ قِبْطِي».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٦٩/١) من حديث الزهري مرفوعاً، والزهري هو محمد بن مسلم بن شهاب من الطبقة الرابعة، وهي طبقة تلي الوسطى من التابعين، جُلُّ روايتهم عن كبار التابعين ذكره الحافظ في «التقريب» (٢٠٧/٢)، وبما أن الزهري رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فهناك سقط في الإسناد، والحديث مرسل، وعلة أخرى محمد بن عمر الواقدي روى عنه كاتبه محمد بن سعد، وروى عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن أخي الزهري كما في هذا السند، والواقدي قال فيه الإمام أحمد بن حنبل: كذاب، وقال أبو حاتم: يضع الحديث، وقال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه ذكره في «الميزان» (٧٩٩٣/٦٦٢/٣) فالحديث باطل بالسقوط في الإسناد والطعن في الراوي.

٢١١- «علمني جبريل عليه السلام الصلاة، فقام فكبرَ لنا، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، فيما يجهر به في كل ركعة».

الحديث لا يصح: أخرجه الدارقطني في «السنن» (٦٤٠/١) (ح١١٥٧) من حديث خالد بن إلياس عن المقبري، عن أبي هريرة مرفوعاً وأفته خالد بن إلياس، قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (١٧٢): «مدني متروك الحديث». قلت: وهذا المصطلح عند النسائي له معناه، فقد بينه الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣) قال: «مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ. بل قال ابن حبان في «المجروحين» (٢٧٥/١): «يروى الموضوعات عن الثقات حتى يسبق إلى القلب أنه الواضع لها؛ لا يحل أن يُكتب حديثه إلا على جهة التعجب». اهـ.

قلت: ولقد خرَّج العلامة الزيلعي أحاديث الجهر بالبسملة في «نصب الراية» (٤٧٨/١) ثم قال: وبالجمله فهذه الأحاديث كلها ليس فيها صريح صحيح.

ونقل ذلك الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٤٦٨/٥) قال: «ولا يصح في الجهر بالبسملة حديث، وكل ما ورد في الباب لا يصح إسناده، وفي الصحيح خلاف ذلك، فراجع نصب الراية». اهـ.

٢١٢- «ما من عبد مسلم ولا أمة مسلمة قرأ في يوم وليلة مائتي مرة: «قل هو الله أحد الله الصمد» إلا غفر الله له خطايا خمسين سنة».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ح٦٩٤) من حديث أنس مرفوعاً، وأفته زيادة بن أبي عمار، قال البخاري في «الضعفاء الصغار» (١٢٤): «زيادة بن ميمون أبو عمار البصري صاحب الفاكهة سمع أنسا متروك». اهـ.

وقال النسائي في «المتروكين» (٢٢٢): «متروك» وقال يزيد بن هارون: «كان كذاباً» وقال أبو زرعة: «واهي الحديث» ذكره الذهبي في «الميزان» (٢٩٦٧/٩٤/٢) وقال زياد بن ميمون الثقفي الفاكهي عن أنس، ويقال زياد، أبو عمار البصري، وزياذ بن أبي عمار، وزياذ بن أبي حسان يندلسونه لئلا يعرف في «الحال». اهـ. وهذا يسمى بتقليد الشيوخ، وهو أن يروي عن شيخ حديثاً سمعه منه فيسميه، ويكنيه أو ينسبه أو يصفه بما لا يُعرف كي لا يُعرف. كذا في «علوم الحديث» النوع (١٢) لابن الصلاح.

٢١٣- «إن الله ليس بتارك أحدًا من المسلمين يوم الجمعة إلا غفر له».

الحديث لا يصح، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (ح/٤٨١٤) من حديث أنس مرفوعاً، وأورده الذهبي في «الميزان» (٢/٩٤/٢٩٦٧) في ترجمة زياد بن ميمون الثقفي الفاكهي، ويقال له زياد، أبو عمار كما بينا آنفاً وهو آفته، وجعله من مناكيره وهو كذاب.

٢١٤- «إن الله لا يعذب الموحدين على نقص إيمانهم ويردهم إلى الجنة خلوداً دائمين».

الحديث لا يصح، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/٥٤) من حديث أنس مرفوعاً، وآفته قطن بن صالح ذكره الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣/٣٩١/٦٩٠) قال أبو الفتح الأزدي: كذاب.

٢١٥- «كاد الفقر أن يكون كفراً، وكاد الحسد أن يكون سبق القدر».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/٢٥٣) من حديث أنس مرفوعاً، وآفته يزيد الرقاشي وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (ح/١٣٤٦) وقال: «هذا حديث لا يصح ويزيد الرقاشي لا يعول على ما يروي».

اهـ. قال النسائي في «المتروكين» (٦٤٢) يزيد بن أبان الرقاشي متروك بصري. اهـ.

٢١٦- «كاتم العلم تلعه كل شيء حتى الحوت في البحر، والطير في السماء».

الحديث لا يصح، أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (ح/١٢٥) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً، وآفته يحيى بن العلاء، نقل الحافظ الذهبي في «الميزان» (٤/٣٩٧/٩٥٩١) عن الإمام أحمد بن حنبل قال: يحيى بن العلاء كذاب يضع الحديث.

٢١٧- «إذا رأيتم الحريق فكبروا فإن التكبير يطفئه».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ح/٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً، ومدار هذه الأحاديث الأربعة على القاسم بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم العمري وهو الآفة، قال الإمام أحمد بن حنبل: ليس بشيء كان يكذب ويضع الحديث. وقال يحيى: ليس بشيء كذاب، وقال أبو حاتم النسائي: متروك، ذكره الذهبي في «الميزان» (٣/٣٧١/٦٨١٢)، وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/١١٢) من حديث ابن عباس مرفوعاً وفيه عمرو بن جميع قال يحيى: «كان كذاباً خبيثاً»، وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٤/١٥١) وبلسه ابن لهيعة كما بينه الحافظ العجلي في تخريجه لهذا الحديث في «الضعفاء» (٢/٢٩٣/٨٦٧)، وابن حبان في «المتروكين» (٢/١١).

٢١٨- «من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله».

هذا الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٤/١٢٢) مرفوعاً، وقال الحافظ العراقي في «المغني» (٤/١٢٢- إحياء): لم أجده بهذا اللفظ.

٢١٩- «ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبري في «الكبير» (٢٠/٩٣/١٨٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ح/٣)، والبيهقي في «الشعب» (ح/٥١٢، ٥١٣) من حديث معاذ مرفوعاً، وآفته يزيد بن يحيى القرشي، قال الذهبي في «الميزان» (٤/٤٤١/٩٧٦٢): «لا يُعرف»، وقال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٩/٢٧٢/١١٦٤): سألت أبي عنه فقال: ليس يقول الحديث. وهذا الحديث كان قد صححه الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة»، و«صحيح الجامع» (ح/٥٤٤٦)، ثم تراجع العلامة الألباني رحمه الله وأورده في «الضعيفة» (٤٩٨٦)، وقال: «واعلم أنني كنت اغتررت برهة من الزمن بكلام المنذري والهيثمي المتقدمين قبل أن أطلع على إسناد الطبراني والبيهقي، وأوردت الحديث في الكتاب الآخر «الصحيحة» و«صحيح الجامع»، فلما وقفت على إسنادهما وتبين أن مداره على يزيد القرشي عند كل من أخرجه، رجعت عن ذلك كله، وكتبت على هامش «الصحيح» أن يُنقل إلى «الضعيف»، وشرحت السبب هنا كما ترى، والهادي هو الله. اهـ.

الحمد لله، الحمد لله عَنَّتِ الوجوه لجلال وجهه، لا إله إلا هو عَجَزَتِ العقول عن إدراك كنهه، وقَامَتِ البراهين على نفي مثله وشبهه، أحمده -سجانه- وأشكره، الفضل والخير بيديه، والعمل والربغاء إليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له صَرَفَ شُؤُونَ الخلق بحكمته، وعَمَّهُمْ بِجُودِهِ وَرَحْمَتِهِ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله بعثه بالآيمان مُنَادِيًا، وإلى جنة الله ورضوانه دَاعِيًا، صلى الله وسلم وبارك عليه، لا خير إلا دل عليه، ولا شر إلا حذر منه، وعلى آله وأصحابه أفضل صلب وخير آل صلاة وسلاماً يُبْلِغَانِ مِنْ رَبِّنَا الْأَمَالَ، وَالنَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا مُزِيدًا إِلَى يَوْمِ الْمَالِ.

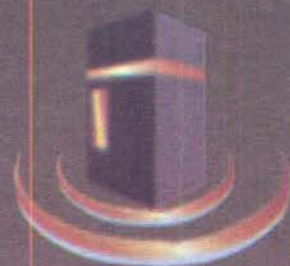
أما بعد: فأوصيكم -أيها الناس- ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله -رحمكم الله-، واعلموا أن لكم علمًا فانتهوا إلى علمكم، ولكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم.

محدودية مراحل عمر البشر:

أيها الإخوة: أيام العُمر مراحل معدودة، إلى وجهة مقصودة، للنفوس مواعيد تطلُبُ أجالها، وأعمارٌ مُقدَّرةٌ لآمالها، وأجالٌ مُؤخَّرةٌ لميعادها، فلا استزادة ولا استنقاص، ولا فوات ولا مناص، إنما هي أمدٌ مُضروبة، وأنفاسٌ محسوبة، لله وحده البقاء، وللخلائق الفناء: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [الحشر: ١٨، ١٩].

إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين:

أيها المسلمون: اعملوا؛ فكل ميسر لما خلق له، أرايتم لو أن رزاق الناس بأيدي البشر؛ فكم سيقع من الظلم والتظالم، والبغي والفساد. تالله لو ترك ذلك إليهم لظلم بعضهم بعضاً، ولبغى بعضهم على بعض؛ بل لنسي بعضهم بعضاً، ولغفل بعضهم عن بعض! فسبحان الرزاق الكريم ذي القوة المتين، لا يظلم ولا يبغي، ولا ينسى ولا يغفل؛ بل يتفضل ويُنعم، ويحسن ويرحم، وهو اللطيف الخبير: (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُرْعَدُونَ ﴿١٢﴾ قُورْبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿١٣﴾) [الذاريات: ٢١-٢٣].



منبر الحرمين

الأسباب الجالبة للرزق

إعداد: الشيخ الدكتور / صالح بن حميد

إعداد

إمام وخطيب المسجد الحرام
بمكة المكرمة



السماء لا تُمْطَرُ ذهبًا ولا فضة».

والتوكل محلله القلب، والسعي وظيفة الجوارح، وما تعسر من شيء فبتقديره، وما تيسر من شيء فبتيسيره، ولما قال رجل للنبي -صلى الله عليه وسلم-: أرسل ناقتي وأتوكل! قال له: «اعقلها وتوكل». أخرجه الحاكم في مستدركه، قال الذهبي: «إسناده حسن».

ومن الأسباب الجالبة للرزق والمباركة فيه:

٤- صلة الرحم:

ومن الأسباب الجالبة للرزق والمباركة فيه -حفظكم الله-: صلة الرحم؛ ففي الحديث الصحيح: «من سره أن يُبْسَطَ له في رزقه، وأن يُنْسَأَ له في أجله، فليصل رحمه». رواه البخاري.

وفي حديث عند أحمد: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم؛ فإن صلة الرحم محبة في الأهل، ومثراة في المال، ومنسأة في العمر». صححه الألباني -رحمه الله-.

فصلة الرحم آثارٌ عجيبة، وثمرات مشهودة من بسط الرزق، وزيادة العمر، ودفع ميتة السوء، وغرس المحبة، وفي الحديث عند ابن حبان -وسنده صحيح بشواهده-: «إن أعجل الطاعة ثوابًا: صلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونون فجرة فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم إذا تواصلوا، وما من أهل بيت يتواصلون فيحتاجون».

٥- من الأسباب الجالبة للرزق والمباركة فيه: الإنفاق في سبيل الله:

معاشر المسلمين: ومن عجائب حكمة الله وفضله: أن جعل الإنفاق من أسباب جلب الرزق وسعته؛ فمن أنفق أخلف الله عليه، وبارك له فيما عنده: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [سبا: ٣٩]. يُخْلِفُهُ عليه في الدنيا بالبدل والبركة، وفي الآخرة بحسن الجزاء وعظيم الثواب، وفي التنزيل العزيز: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [البقرة: ٢٦٨].

يقول ابن عباس -رضي الله عنهما-: «اثنان من الله، واثنان من الشيطان؛ الشيطان يعدكم الفقر ويقول: لا تنفقه وأمسكه لك فإنك تحتاج إليه، ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرةً منه على المعاصي والذنوب، وفضلًا في الرزق».

وفي الحديث القدسي: «يا ابن آدم: أنفق أنفق عليك». رواه مسلم.

وفي الحديث الصحيح: «ما من يوم يُصْبِحُ فيه

العباد إلا وفيه ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط مُنفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط مُمسكًا تلقًا». رواه البخاري.

فأنفقوا -عباد الله-، وأبشروا بالخلف الواسع من فضل الله؛ بل لقد قال -عز شأنه-: (لَنْفِقَ دُوسَعُونَ سَعَتِهِ، وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رَزْقُهُ، فَلْيَنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْثُرَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مِمَّا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) [الطلاق: ٧].

ومن الأسباب الجالبة للرزق والمباركة فيه:

٦- الإحسان إلى الضعفاء والمحتاجين:

معاشر المسلمين: ومن أسباب الرزق وأسباب سعته: الإحسان إلى الضعفاء والمحتاجين، وتفقد أصحاب الحوائج، وفي الحديث: «وَهَلْ تَنْصُرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بضعفائكم!!». رواه البخاري.

وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «ابغوني في ضعفائكم؛ فإنما تُرْزَقُونَ وتَنْصُرُونَ بضعفائكم». رواه أبو داود، والترمذي.

وهذا يشمل أصناف ذوي الحاجات؛ من الفقراء، والمساكين، والمرضى، والغرباء، ومن لا عائل له. وإن أوضاع الأمة وماسيها قد أوقعت كثيرًا من إخواننا وجيراننا في أحوال وشدائد؛ فتفقّدوهم، وأحسنوا إليهم، وأنفقوا يُخْلِفَ الله عليكم، ويُبارك لكم؛ بل إنكم بهذا تستجلبون نصر الله وعونه وتأييده.

ومن الأسباب الجالبة للرزق والمباركة فيه:

٧- الاستقامة على دين الله:

أيها المسلمون: وإن من أعظم أسباب جلب الرزق وبركته؛ بل لعله هو جماع الأسباب كلها: الاستقامة على دين الله، والعمل بطاعته، واجتناب معاصيه ومناهيه؛ فما استجلبت الأرزاق إلا بالطاعات، وما مُحِقَّتْ إلا بالمعاصي والذنوب، وإن العبد ليُحَرِّمَ الرزق بالذنوب يُصِيبُهُ.

فالذنوب والمعاصي من أكبر الأبواب التي تُغْلِقُ موارد الأرزاق على الفرد وعلى الأمة، بالذنوب والمعاصي تتعسر الأسباب، وتضيق الأبواب، وتُمَحَقُّ البركات: (وَالَّذِينَ اسْتَفْزَمُوا عَلَى الطَّرِيقِ لَأَسْقِنَهُمْ مَاءً عَذَقًا) [الجن: ١٦، ١٧].

إن نعم الله ما حُفِظَ موجودها بمثل الطاعة، ولا استجلب مفقودها بمثل الطاعة، فما عند الله لا يُنال إلا بالطاعة، فمن أراد السعة في الرزق، والرغد في العيش، والبركة في المال فليحفظ نفسه عما يُؤْثِمُهُ، وليمتثل أوامر ربه، وليجتنب نواهيه، وليصن نفسه عن مواضع سُخْطِ الله.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله واله
وصحبه ومن والاه وبعد:

فلقد جرت عادة المصنفين من المتأخرين أن يدونوا
مقدمة عن العلم وفصله وثمراته وما يتعلق به في
صدر مصنفاتهم وذلك لفوائد منها:

أولاً: أن يحصل طالب العلم تصوراً إجمالياً للموضوع
قبل أن يدخل في تفاصيله فيعرف الوحدة الجامعة
لمسائل هذا العلم فيأمن عندئذ من دخوله في مسائل
ليست من مسائل العلم الذي قصد إليه .

ثانياً: أن يتحقق من فائدة العلم ونفعه لينشط في
طلبه وتحصيله وليستعذب المشاق في سبيله .

هذا وقد استقر عمل المصنفين على ذكر مبادئ عشرة
لكل علم تمثل مدخلا تعريفيًا لطالب هذا العلم وقد
جمعها بعضهم - كما فعل أبو العرفان محمد بن علي
الصبان (ت: ١٢٠٦هـ) - في قوله:

إن مبادئ كل فن عشرة

الحد والموضوع ثم الثمرة

ونسبة وفصله والواضع

والاسم لاستمداد حكم الشارع

مسائل والبعض ببعض اكتفى

ومن درى الجميع حاز الشرفا

وسياتي بيانها في مقالات تالية لكننا سنقدم الفضل
والثمرة على باقي المبادئ لما فيهما من شحذ للهمم
ونفع أعم لجميع قراء مجلتنا الغراء .

أولاً: فضل علم التوحيد:

(١) فضله من جهة موضوعه:

يقصد بفضل علم التوحيد ميزته وقدره الزائد على
غيره من العلوم، وما ثبت في منزلته من فضيلة، وإذا
كانت العلوم الشرعية كلها فاضلة لتعلقها بالوحي
المطهر؛ فإن علم التوحيد في الذروة من هذا الفضل
العميم؛ حيث حاز الشرف الكامل دون غيره من
العلوم.

فمن المعلوم أن المتعلق يشرف بشرف المتعلق؛
فالتوحيد يتعلق بأشرف ذات، وأكمل موصوف،
بالله الحي القيوم، المتفرد بصفات الجلال والجمال
والكمال، ونعوت الكبرياء والعزة؛ لذا كان علم
التوحيد أشرف العلوم موضوعاً ومعلوماً، وكيف لا
يكون كذلك وموضوعه رب العالمين وصفوة خلق الله
أجمعين - أي: الأنبياء والمرسلين - ومن موضوعات
علم التوحيد مال العباد إما إلى جحيم أو إلى نعيم،
وهذا ما نعني به السمعيات؛ ولأجل هذا سماه بعض
السلف بـ «الفقه الأكبر».

باب العقيدة

مقدمة

باب العقيدة

الرئيس العام

اعداد

أخي الحبيب قارئ مجلة التوحيد:

إيماناً منا بأهمية العقيدة في حياة المسلمين، ورغبة في نشر العلم النافع، وحرصاً على سلامة المعتقد، نقسح المجال لباب جديد من أبواب المجلة عبر صفحات مجالات التوحيد ألا وهو باب العقيدة.

وإنني أشرف أن أسطر تلك المقدمة لباب العقيدة، وهو باب يكتبه مشكوراً فضيلة الرئيس العام، وصاحب فكرة كتابة مقدمة لهذا الباب هو الدكتور مرزوق عضو اللجنة العلمية بالمجلة.

وإنني أنتهز هذه الفرصة لأخبر القراء الأعزاء أنني أحكم في الله، داعياً المولى سبحانه أن يجمعنا بين قلوبنا ويؤلف ذات بيننا على التوحيد الخالص.

وقد أشار شيخنا الدكتور عبد الله شاكراً في الحلقة الأولى من باب العقيدة إلى فضل علم التوحيد، منوهاً بعظم قدره وعلوه على غيره من العلوم، ذاكراً فضيلته ما ثبت في منزلته من فضل؛ إذ إن التوحيد يتعلق بأشرف ذات، وأكمل موصوف، بالله الحي القيوم، المتفرد بصفات الجلال والجمال والكمال والعظمة.

ثم عرّج فضيلته على ثمرة هذا العلم، مبيناً أن التوحيد سبب في طيب العيش للإنسان، وانتظام أمر الحياة، بل إن قيام المدنية وإزدهار الحضارة هو إحدى ثمرات التوحيد المباركة.

وأشار فضيلة الدكتور إلى أن ثمرة علم التوحيد تظهر من خلال معرفة الله معرفة يقينية، وأن انشراح الصدر، وطمانينة القلب هي ثمرة حصول المعرفة الصحيحة بالله تعالى.

وإذا كنا عبر هذا الباب الجديد نحاول أن نضيف إليك أيها القارئ باستمرار أبواباً جديدة ومتجددة حتى تكون مائدة شهية، فمجلة التوحيد تهدف إلى نفع وإفادة كل نفس مؤمنة.

ندعو الله أن يحيينا على التوحيد، وأن يميّتنا عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

رئيس التحرير

وتحقيق التوحيد هو أشرف الأعمال مطلقاً؛ ففي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل الأعمال عند الله إيمان لا شك فيه» وسئل النبي صلى الله عليه وسلم: «أي العمل أفضل؟» قال: إيمان بالله ورسوله، وهو موضوع رسل الله أجمعين.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى -: وجميع الرسل إنما دعوا إلى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّبِعُوا مَنَاسِكَتِي) [الفاتحة: ٥]، فإنهم كلهم دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته من أولهم إلى آخرهم؛ فقال نوح (عليه السلام) لقومه: (قَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَقُولُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِزَّة) [الأعراف: ٥٩]، وكذلك قال هود وصالح وشعيب وإبراهيم. فقال الله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلُوتَ) [النحل: ٣٦].

فأهم ما على العبد معرفته إذن هو التوحيد، وذلك قبل معرفة العبادات كلها حتى الصلاة؛ لأن التوحيد هو الأساس الذي تقوم عليه سائر أنواع وألوان العبادات، ولا يمكن أن يقوم الشيء إلا على أساسه؛ وبالتالي لابد من معرفة التوحيد أولاً.

(ب) فضله من جهة معلومه:

إن معلوم علم التوحيد هو مراد الله الشرعي الدال عليه وحيه وكلامه الجامع للعقائد الحقّة، كالأحكام الاعتقادية المتعلقة بالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر والبعث بعد الموت. ومعلوم علم التوحيد: هو الأحكام الاعتقادية المكتسبة من الأدلة المرضية من كتاب ناطق وسنة ماضية، وقطب رحي القرآن العظيم من فاتحته إلى خاتمته في تقرير معلوم التوحيد.

(ج) فضله من جهة الحاجة إليه:

أما فضل علم التوحيد باعتبار الحاجة إليه؛ فيظهر ذلك بالنظر إلى جملة أمور:

منها: أن الله تعالى طلبه، وأمر به كل مكلف، واثنى على أهله، ومدح من توسل به إليه، ووعدهم أجراً عظيماً، قال تعالى: (فَاعْلَوْا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذَنبِكُمْ) [محمد: ١٩]، وقال عز من قائل: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) [البينة: ٥].

ومنها: أن عقيدة التوحيد هي الحق الذي أرسلت من أجله جميع الرسل، قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلُوتَ) [النحل: ٣٦]. وقال سبحانه: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ

إن الإيمان يثمر طمأنينة القلب وراحته وقناعته بما رزقه الله به، ويجعل العبد لا يتعلق بغير ربه ومولاه؛ وهذه هي الحياة الطيبة، فإن أصل الحياة الطيبة راحة القلب وطمأنينته، وعدم تشوشه مما يتشوش منه الفاقد للإيمان الصحيح، وفي (الصحيح): أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عجبا لأمر المؤمن؛ إن أمره كله خير؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له؛ وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له. وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن».

ولذلك قال بعض السلف: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في قوله تعالى:

(يَوْمَ يَقُولُ السُّفَهَاءُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْظِرُونَا نَقِيسَ مِنْ تَوَكَّلْنَا قِيلَ أَرْجِعُوا وَرَدُّكُمْ فَاَلْتَسَوَّاءُ نَوْرًا ضَرَبَ بِهِمْ سَوْءَ لَهُ بَابٌ بَاطِلٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَلَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ) [الحديد: ١٣]، قال: «ما يصنع أعدائي به؟! أنا جنتي وبُستاني بصدري، أني رحت فهي معي لا تفارقني؛ إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي في من بلدي سياحة».

ومظاهر الحياة الطيبة التي خص الله بها عباده المؤمنين في الدنيا كثيرة:
فمنها: ولاية الله عز وجل.

(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُوهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ) [البقرة: ٢٥٧].

ومنها: محبة الله عز وجل للمؤمنين، ومحبة الخلق لهم:

(يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَرِّدٍ مِنْكُمْ عَنْ وَجْهِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) [المائدة: ٥٤].

ومنها: مدافعة الله عن المؤمنين، وإنجاؤه لهم:

إن الله عز وجل تكفل بنصر أوليائه المؤمنين على أعدائهم، قال سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) [الحديد: ٣٨]، ولم يذكر ما يدفعه عنهم حتى يكون أفخم وأعظم وأعم وأتم، وقال سبحانه: (فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَجَجْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ فُتِحَ الْمُؤْمِنِينَ) [الأنبياء: ٨٨].

ومنها: حصول نور البصيرة التي تفرق بين الحق والباطل:

قال الله تعالى: (يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَفَقَّوْا أَنَّهُ يَفْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُخَوِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) [الأنفال: ٢٩]، وهذا الفرقان فسرهُ أهل العلم بالنور الذي يقذفه الله في قلب المؤمن، فيفرق

(لَا تُوحِي إِلَيْهِ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: ٢٥]، وهي حق الله على عباده، كما في حديث معاذ (رضوان الله عليه): أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا» وهي ملة أبينا إبراهيم (عليه السلام) التي أمرنا الله باتباعها، قال تعالى: (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَقِيقًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [النحل: ١٢٣]، وهي أيضا دعوته (عليه السلام)، قال تعالى على لسانه: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آَمِنًا وَاجْعَلْ فِي وَبْنٍ آَمِنًا) [إبراهيم: ٣٥].

ومن فضل علم التوحيد أيضا أن الله تعالى جعل الإيمان شرطا لقبول العمل الصالح، وانتفاع العبد به في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدٍ وَإِنَّا لَهُ كَنُزُودٌ) [الأنبياء: ٩٤]، وأي حاجة أكثر من حاجة العبد إلى العمل الصالح، وأن يؤمن برب العالمين وأن يلقي الله عز وجل على ذلك؟ وقال سبحانه: (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا) [الإسراء: ١٩].

فإذا جاء العبد بغير الإيمان، فقد خسر جميع عمله الصالح، قال تعالى: (وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبُنَّ عَلَيْكَ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الزمر: ٦٥]. ومما يبين فضل التوحيد من جهة الحاجة إليه أن سعادة البشرية في الدنيا والآخرة متوقفة على علم التوحيد، فحاجة العبد إليه فوق كل حاجة، وضرورته إليه فوق كل ضرورة؛ فلا راحة ولا طمأنينة ولا سعادة إلا بأن يعرف العبد ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة صحيحة صادقة ناصحة، وهي جهة الوحي الرباني. يعني: ما ورد في كتاب اله وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانيا: ثمرة «علم التوحيد»:

ثمرة علم التوحيد بالنسبة للمكلف:

بالنسبة لثمرة التوحيد للمكلف في الحياة الدنيا أن التوحيد سبب في طيب العيش للإنسان، وانتظام أمر الحياة؛ بل إن قيام المدينة وازدهار الحضارة هي من ثمرات التوحيد المباركة؛ قال رب العالمين: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَأَتَوْا لَفُتِحَتْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٌ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [الأعراف: ٩٦]، وقال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل: ٩٧]، وقال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد: ٢٨].

به بين الحق والباطل، والسنة والبدعة، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [الشورى: ٥٢].

ثمرات التوحيد العلمية:

وتظهر ثمرة علم التوحيد العلمية من خلال الأمور التالية:

أولاً: معرفة الله معرفة يقينية:

إن سلوك منهج أهل السنة في تعلم علم التوحيد يوصل العبد -ولابد- إلى غاية المطالب، وأشرف المقاصد، وأول الواجبات وهو: معرفة الله تعالى بالتوحيد، وإفراده تعالى بالعبادة، والبراءة من الشرك، وكلما ازداد العبد علماً بالتوحيد: ازداد رقياً في مدارج الإيمان ومعارج اليقين، وارتقى من الإيمان المجمل إلى الإيمان المفصل، ومن حال التقليد إلى حال اليقين والإذعان، والتصديق عن حجة وبرهان؛ بحيث يكون اعتقاده في ربه اعتقاداً صحيحاً موافقاً للواقع عن دليل صحيح، وهذا أفضل ما اشتغل بعلمه الإنسان.

والعلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته سبيل لرفع الدرجات وحصول البركات، قال تعالى: (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ) «أَمْوَالَكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْوِلَاةَ دَرَجَتِي» [المجادلة: ١١]، وهذا العلم الصحيح هو الذي يحل عقدة الأسئلة الكبرى التي ضلت البشرية في الاهتداء إلى جوابها؛ فتاهت في ضروب الإلحاد وعبادة الشجر والحجر والتثليث، وعبادة الهوى من دون الله تعالى؛ ففي القلب خلة لا يسبغها إلا الاعتقاد الحق، وحاجة لا تنقضي إلا بمعرفة الرب.

ثانياً: انشراح الصدر، وطمأنينة القلب:

وهذا الأمر ثمرة حصول المعرفة الصحيحة بالله تعالى، والإجابة على أسئلة الفطرة حول الكون والحياة؛ فنفس لا إيمان فيها مضطربة قلقة تائهة خائفة؛ فأما اضطرابها، فلأنها كالسفينة تتقاذفها الأمواج العاتية، تتلقى عن كثيرين غير الله تعالى مناهجها وعقائدها؛ فتضطرب مرجعيتها ويختلف سبيلها وتتناقض مسيرتها، وأما النفس المؤمنة الموحدة فقد اتحد مصدر ورودها وصدورها في كل أمر، فهي تتلقى من الله وعن الله، وهي تسير إلى الله تعالى، قال تعالى: (مَرْبِّ إِلَهٍ مَّلَكًا رَّحِيمًا فِيهِ شَمْسٌ كَالْمِشْكُورِ وَرَجُلًا سَلَامًا رَّحِيمًا هَلْ يَسْتَوِيانَ مَلَكًا أَلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [الزمر: ٢٩].

ثالثاً: حصول برد اليقين، واستقرار الفكر:

قال شيخ الإسلام: «المقصود أن ما عند عوام المؤمنين وعلمائهم - أهل السنة والجماعة - من المعرفة واليقين والطمأنينة والجزم الحق والقول الثابت والقطع بما

ثمرات التوحيد العملية:

المراد بثمرات التوحيد العملية: القوة التي تحمل الإنسان على السير إلى الله تعالى، والاجتهاد في عبادته، والتقرب إليه بما يرضيه، واجتناب ما يسخطه.

وتظهر ثمرة علم التوحيد العملية من خلال الأمور التالية:

أولاً: تحقيق الإخلاص، وأعمال القلوب على الوجه الصحيح:

إن الإخلاص هو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة رسل الله أجمعين، وهو روح التوحيد، ولب الرسالة. والإخلاص يتوقف -في حصوله وكماله- على معرفة العبد لربه، وتعظيمه، وتاليه، ومعرفة أسمائه تعالى، وصفاته، وإحصائها، والتعبد لله بمقتضاها؛ فمن كان بالله أعرف كان له أخلص، وفيما عند الله تعالى أرغب، ومن عقوبته أرهب.

ثانياً: اشتغال الجوارح بالطاعات:

إذا عمر الإخلاص قلب العبد، وتحققت أعمال القلوب من محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والتوكل على الله والصبر له، والخوف منه، والرجاء فيما عنده؛ انطلقت الجوارح -ولابد- في طاعة الله تعالى ولا يتخلف ذلك أبداً، وفي الصحيح: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»، فصالح الظاهر تابع لصالح الباطن في الأصل، والارتباط بينهما حاصل.

ثالثاً: الاجتماع، والوحدة، والائتلاف:

وهذا هو ما دعا رب العالمين عباده إليه؛ قال تعالى: (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) [آل عمران: ١٠٣]، وقال سبحانه: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَيْنِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [آل عمران: ١٠٥]، وقال صلى الله عليه وسلم: «من ترك الطاعة وفارق الجماعة، ثم مات؛ فقد مات ميتة جاهلية»، وقال صلى الله عليه وسلم: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب».

وقد اقتفى السلف الصالح نصوص الكتاب والسنة؛ فكانوا مجتمعين على اعتقاد واحد وهو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الواحد منهم ينقله إلى ما يأتي بعده، ولم يختلفوا في مسألة من مسائل الاعتقاد أبداً.

هذا والله تعالى أسأل أن يرزقنا وإياكم الإخلاص والتوفيق إنه خير مسئول وأكرم مأمول والحمد لله رب العالمين.

القلوب والفتن

القلب القاسي

د. جمال المراكبي

أعداد



الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا
نبي بعده:

وبعد، فما يزال الحديث متصلاً عن القلوب
وأقسامها، ونتناول في هذا العدد الحديث عن
القلب القاسي وسبل علاجه، والله نسأل أن
يصلح لنا قلوبنا ونياتنا وأن يرزقنا الإخلاص
في الأقوال والأعمال.

عندما يمرض القلب ويقسو إلى أن يتحجر،
عندها تختل معايير الإنسانية، فيقال: فلان
ميت القلب ولا يعرف الرحمة، وأن ترتبط رقة
القلب بالضعف الذي لا يليق بالرجال، وأن يقول
البعض: كن قاسي القلب تعيش في هناء، ويقول
الآخر: نحن في زمن إذا قيل للحجر كن إنساناً
لقال: عذراً لست قاسياً لهذه الدرجة، كل هذا
بسبب اختلاف المعايير الإنسانية.

هنا تكمن المشكلة، فأبعد القلوب من الله القلب
القاسي، فالقلب القاسي قلب نزعته منه الرحمة.
قال مالك بن دينار: «ما ضرب عبد بعقوبة أعظم
من قسوة القلب، وما غضب الله عز وجل على
قوم إلا نزع منهم الرحمة».

وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: جَاءَ أَعرَابِيٌّ
إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: تَقْبَلُونَ
الصُّبْيَانَ فَمَا تَقْبَلُهُمْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: «أَوْ أَمْلَكَ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»
[صحيح البخاري ٥٩٩٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبِلَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعِنْدَهُ
الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ، جَالِسًا فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ
لِي عَشِيرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبِلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَتَنْظُرُ إِلَيْهِ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لَا
يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ» [صحيح البخاري ٥٩٩٧].

والقلب القاسي هو شر القلوب المفتونة بإغواء
الشيطان.

قال الله تعالى: (يَجْعَلْ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي
شِقَاقٍ بَعِيدٍ) [الحج: ٥٣].

وقال تعالى: (قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ
فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [الزمر: ٢٢].

وهو القلب الميت الذي لا حياة به، فهو لا يعرف
ربه، ولا يعبد به أمره وما يحبه ويرضاه، بل هو
واقف مع شهواته ولذاته؛ ولو كان فيها سخط
ربه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه،

[الأنفال: ٢] أي: خافت عند ذكر الله، فالوجل المذكور في آية الأنفال هذه، والخشية المذكورة هنا معناهما واحد.

وقيل: المراد بذكر الله القرآن، وعليه فقوله: (وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) من عطف الشيء على نفسه مع اختلاف اللفظين، وعلى هذا القول، فالآية كقوله تعالى: (اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَتَانًا تَقَسَّعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) [الزمر: ٢٣]، فالاشتغال المذكور، ولين الجلود والقلوب عند سماع هذا القرآن العظيم المعبر عنه بأحسن الحديث، يُفسر معنى الخشوع لذكر الله وما نزل من الحق هنا كما ذكر. [أضواء البيان للشنقيطي].

وقوله: (اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) فيه إشارة إلى أنه تعالى، يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضللتها، ويفرج الكرب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الوابل، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعدما كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعال، وهو الحكم العدل في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال. [تفسير ابن كثير].

وقال الله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ) (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) (٤٤) فَقَطَّعْ ذَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الأنعام: ٤٢-٤٥].

قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ)، فكذبوا رسلنا، وجحدوا بآياتنا، (فآخذناهم بالأسواء والضراء) أي: بالفقر والمرض والافات، والمصائب، رحمة منا بهم. (لعلهم يضرعون) إلينا، ويلجأون عند الشدة إلينا.

(فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ) أي: تحجرت فلا تلين للحق. (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فظنوا أن ما هم عليه دين الحق، فتمتعوا في باطلهم برهة من الزمان، ولعب بعقولهم الشيطان.

(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ) من الدنيا ولذاتها وغفلاتها. (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا

رضي ربه أم سخط، فهو متعبد لغير الله حياً، وخوفاً، ورجاءً، ورضاً، وسخطاً، وتعظيماً، وذلاً. إن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه. فهو أهو أهو، وأحب إليه من رضا مولاه. فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه. فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مغمور. يُنادى إلى الله وإلى الدار الآخرة من مكان بعيد، فلا يستجيب للناصح، ويتبع كل شيطان مريد. الدنيا تسخطه وترضيه. والهوى يصمّه عما سوى الباطل ويعميّه، فالنار أولى به، وما خلقت النار إلا لإذابة القلوب القاسية.

القلوب القاسية في آيات القرآن:

قال الله تعالى: (وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْهَا ثُمَّ فَبِئْسَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (٧١) فَقُلْنَا أَصْرُوهَ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْعَوْنَ وَرَبِّكُمْ إِلَيْنَا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (٧٢) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ وَإِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقَى فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) [البقرة: ٧١-٧٤].

بعد أن ذكر الله قصة البقرة، وكيف أنهم قتلوا نفساً، وتدافعوا التهمة فيما بينهم، فأوحى الله إلى كلمه موسى أن يأمرهم بذبح بقرة، وكان ما ذكره الله تعالى في قصة البقرة، وكشف نكص القاتل، وما في القصة من آيات باهرات، ومع ذلك قست القلوب من بعدما رأت الآيات فهي كالحجارة أو أشد قسوة.

ولم يبين الله هنا في هذا الموضع سبب قسوة قلوبهم، ولكنه أشار إلى ذلك في مواضع أخر كقوله تعالى: (فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِنْهُمْ لَعْنُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا يُزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَافِيَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [المائدة: ١٣].

وقوله تعالى: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَلَمَّا ظَلَمُوا الْأَمْرَ فَجَسَّتْ قُلُوبُهُمْ وَكُفِّرُوا عَنْهُمْ قُلُوبُهُمْ) (١٦) أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [الحديد: ١٦-١٧].

قوله: (لِذِكْرِ اللَّهِ)، الأظهر منه أن المراد خشوع قلوبهم لأجل ذكر الله، وهذا المعنى دل عليه قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)

وقال الله تعالى: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِ الْفَاسِقَةِ فَلَوْ لَمْ يَنْزِلْ اللَّهُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (٢٣) **اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْقَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَتَانٍ يَنْفَعُ مَنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِرَبِّهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) [الزمر: ٢٢-٢٣].**

أفمن شرح الله - تعالى - صدره للإسلام، وجعله مستعداً لقبول الحق فهو بمقتضى هذا الشرح والقبول صار على نور وهداية من ربه، كمن قسا قلبه وغلظه، وأصبح أسيراً للظلمات والأوهام.

لاشك أنهما لا يستويان في عقل أي عاقل. فالاستفهام للإنكار والنفي، و«من» اسم موصول مبتدأ، والخبر محذوف لدلالة قوله - تعالى - : (فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِ الْفَاسِقَةِ قُلُوبُهُمْ مَنْ ذَكَرَ اللَّهُ) .

أي: فهلاك وخزي لأولئك المشركين الذين قست قلوبهم من أجل ذكر الله - تعالى - ، الذي من شأنه أن تلين له القلوب، ولكن هؤلاء الكافرين إذا ما ذكر الله - تعالى - ، اشمأزت قلوبهم، وقست نفوسهم، لانطماس بصائرهم، واستحواذ الشيطان عليهم.

ومنهم من جعل «من» في قوله (مَنْ ذَكَرَ اللَّهُ) بمعنى عن. أي: فويل للقاسية قلوبهم عن قبول ذكر الله وطاعته وخشيته. [الوسيط لسيد طنطاوي].

كيف يستشعر المسلم قسوة قلبه وكيف يعالجها؟

هناك علامات لقسوة القلب:

منها: التكاسل والتناقل عن الطاعات وأعمال الخير والبر:

كالصلاة المفروضة يتشاغل عنها ولا يستشعر الخشوع فيها فتكون مجرد حركات لا اطمئنان فيها، يضيق بها ويريد قضائها، ويتناقل عن النوافل، ويرى الفرائض والواجبات التي فرضها الله عليه كأنها أثقال ينوء بها ظهره، ويرى الصدقة مكوساً يسعى للتغلب منها ولا ينشرح لها صدره.

قال الله تعالى: (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) [النساء: ١٤٢].

وقال الله تعالى (مَنْعَهُمْ أَنْ يُقِيلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَذِبُونَ) [التوبة: ٥٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من نديهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بئانه وتغفو

بما أوتوا أخذتهم بغته فإذا هم مثبورون) أي: آيسون من كل خير، وهذا أشد ما يكون من العذاب، أن يؤخذوا على غرة، وغفلة وطمأنينة، ليكون أشد لعقوبتهم، وأعظم لمصيبتهم.

(فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا) أي: اصطلموا بالعذاب، وتقطعت بهم الأسباب (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) على ما قضاه وقدره، من هلاك المكذبين. فإن بذلك تنبين آياته، وإكرامه لأوليائه، وإهانته لأعدائه، وصدق ما جاء به المرسلون. [تفسير السعدي].

فالآية الكريمة تصور لونا من ألوان العلاج النفسي الذي عالج الله به الأمم التي تكفر بأنعمه، وتكذب أنبياءه ورسله؛ إذ إن الآلام والشدائد علاج للنفوس المغرورة بزخارف الدنيا ومتعها إن كانت صالحة للعلاج.

ولقد بين سبحانه أن تلك الأمم لم تعتبر بما أصابها من شدائد فقال: (فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

ولولا هنا للنفي، أي: أنهم ما خشعوا ولا تضرعوا وقت أن جاءهم بأسنا.

ثم بين - سبحانه - أن أمرين حالا بينهم وبين التوبة والتضرع عند نزول الشدائد بهم.

أما الأمر الأول: فهو قسوة قلوبهم، وقد عبر - سبحانه - عن هذا الأمر الأول بقوله: (وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ) أي: غلظت وجمدت وصارت كالحجارة أو أشد قسوة.

وأما الأمر الثاني: فهو تزيين الشيطان لهم أعمالهم السيئة، بأن يوحي إليهم بأن ما هم عليه من كفر وشرك وعصيان هو عين الصواب، وأن ما اتاهم به أنبيأؤهم ليس خيراً لأنه يتنافى مع ما كان عليه أبائؤهم.

ثم بين - سبحانه - أنه قد ابتلاهم بالنعم بعد أن عالجهم بالشدائد فلم يرتدعوا فقال - تعالى - : (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ).

والمعنى: فلما أعرضوا عن النذر والعضات التي وجهها إليهم الرسل، فتحنا عليهم أبواب كل شيء من الرزق وأسباب القوة والجاه. حتى إذا اغتروا وبطروا بما أوتوا من ذلك أخذناهم بغتة فإذا هم محتسرون يائسون من النجاة.

وفي الحديث: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يجب فإنما هو استدرج» [مسند أحمد ١٧٣٤٩ وجود إسناده الألباني].

أَثَرُهُ، وَأَمَّا الْبَحِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزَقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا فَهُوَ يُوسِعُهَا وَلَا تَنْسَحُ [صحيح البخاري ١٤٤٣].

ثانياً: عدم التأثر بآيات القرآن الكريم والمواعظ والذكر:

فهو يسمع آيات الوعد والوعيد فلا يتأثر ولا يخشع قلبه، كما أنه يغفل عن قراءة القرآن، وعن سماعه ويحدّ ثقلاً وانصرافاً عنه، مع أن الله تعالى يقول: (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ)، ومدح الله المؤمنين بقوله: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) [الأنفال: ٢].

وعاتب الله المؤمنين بقوله: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَصْغَرَ قُلُوبُهُمْ لِدِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَبِيرٌ مِنْهُمْ فَسُيُوفُ) [الحديد: ١٦].

ثالثاً: عدم تأثره بالحوادث كالموت والآيات الكونية:

فهو لا يتأثر بالموت ولا بالأموات يتساقطون من حوله، كأنه ضمن الخلود في الدنيا، ويمشي في المقابر وكأنه في الأسواق، وكفى بالموت واعظاً. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكثروا ذكر هازم الذات، يعني الموت» [سنن الترمذي ٢٣٠٧ وصححه الألباني].

وبكى على القبر وقال: «لمثل هذا فاعدوا» [سنن ابن ماجه ٤١٩٥ وحسنه الألباني].

رابعاً: زيادة ولعه بملذات الدنيا وإيثارها على الآخرة:

فتصبح الدنيا همه وشغله الشاغل، وتكون مصالحة الدنيوية ميزاناً في حبه وبغضه وعلاقاته مع الناس، فيغرق في اللهو واللعب ويشغل قلبه الحقد والحسد والأنانية والبخل والشح.

خامساً: يضعف في قلبه تعظيم الله جل جلاله: وتذهب الغيرة، ولا يغضب إذا انتهكت محارم الله، فيرى المنكرات، ويسمع الموبقات وكأن شيئاً لم يكن، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكراً، ولا يبالي بالمعاصي والذنوب.

سادساً: الوحشة وضيق الصدر والشعور بالقلق والضيق: لا يكاد يهنا بعيش أو يشعر بطمأنينة؛ فيظل قلقاً متوتراً من كل شيء.

أسباب قسوة القلب:

أولاً: تعلق القلب بالدنيا وزخرفها: قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ

جَعَلَ اللَّهُ غَنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قَدَّرَ لَهُ. [سنن الترمذي ٢٤٦٥ وصححه الألباني].

ويقسو القلب من أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة: الأكل والنوم والكلام والمخالطة، والجدل فيما لا يفيد والتعصب المذهبي.

ثانياً: الغفلة عن ذكر الله:

قال الله تعالى: (أَوَلَيْكَ الَّذِينَ طَعَنَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمِعْتَهُمْ وَأَبْصَرْتَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاقِلُونَ) (النحل: ١٠٨).

قال بعض العلماء: لا تكثرُوا الكلام بغير ذكر الله فنقسو قلوبكم، فإن القلب القاسي بعيد عن الله عز وجل، ولا تنظروا إلى ذنوب العباد كأنكم أرباب وانظروا في ذنوبكم فإنكم عبيد، والناس رجالان مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء واحمدوا على العافية.

وقال ابن القيم: ومن تأمل حال أكثر الخلق وجدهم ممن غفلت قلوبهم عن ذكر الله تعالى، واتبعوا أهواءهم، وفرطوا فيما ينفعهم واشتغلوا بما لا ينفعهم بل يعود بالضرر عاجلاً وأجلاً، قال الله تعالى: (وَلَا تَطْعَمَنْ أَغْفَلًا قَلْبُهُ، عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّعَىٰ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) [الكهف: ٢٨].

ثالثاً: مصاحبة أصدقاء السوء، في الأجواء الفاسدة: فالإنسان سريع التأثر بمن حوله، فالشخص الذي يعيش في أوساط المعاصي والمنكرات، ويجالس أناساً أكثر حديثهم عن اللذات المحرمة والنساء، ويكثرون المزاح والضحك والنكات وسماع الغناء ورؤية المسلسلات، هذا الشخص لا بد أن يتأثر بهؤلاء الجلساء فيقسو قلبه ويغلظ، ويعتاد على هذه المنكرات.

رابعاً: نسيان الموت وسكراته، والقبر وأهواله وعذابه ونعيمه، ووضع الموازين، ونشر الدواوين، والمرور على الصراط، ونسيان النار وما أعد الله فيها لأصحاب القلوب القاسية.

خامساً: الاشتغال بما يفسد القلب ويقسيه:

ومفسدات القلب كثيرة منها: كثرة الاختلاط، وركوب الأمانى، والتعلق بغير الله، وكثرة الطعام، وكثرة النوم، والركون إلى الدنيا والإخلاق إلى الأرض.

نسأل الله أن يصلح قلوبنا ويهدي نفوسنا، ويصلح لنا أعمالنا وأخلاقنا، والحمد لله رب العالمين.

الدعاء .. قرع لأبواب السماء

الحلقة الثانية

أحمد صلاح

أعداد

الغفور الرحيم. [صحيح البخاري ٨٣٤]. وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى مريضاً قال: اذهب إليّ يا رب الناس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً. [صحيح البخاري ٥٦٧٥].

وروى أحمد في مسنده (٤٣١٨)، وابن حبان في صحيحه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما قال عبد قط إذا أصابه هم أو حزن: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلت في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حُرْني وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحاً، قالوا: يا رسول الله، ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات؟ قال: أجل، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن. والحديث صححه الألباني في صحيح الترغيب ١٨٢٢.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أرايت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قلوا: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، ومن الفقر والعجز، ومن الجبن والبخل، ومن الغفلة والنسيان، ومن الهم والحزن، ومن الفقر والعجز، ومن الجبن والبخل، ومن الغفلة والنسيان. [سنن ابن ماجه ٣٨٥٠ وصححه الألباني].

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه والتابعين، وبعد:

فقد سبق في العدد الماضي أن تناولنا أهمية الدعاء ومنزلته العظيمة في الإسلام، وبيننا أنه أعلى مراتب العبادة، بل هو العبادة كلها، ففي الحديث عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: «وقال ربكم ادعوني أستجب لكم» [سنن أبي داود ١٤٨١ وصححه الألباني].

وقد تناولنا فيما سبق بعض آداب الدعاء وأحكامه التي ينبغي للداعي أن يتعلمها ويتأدب بها، حتى يكون ذلك ادعى لقبول دعائه وإجابة طلبه ومناجاته، ونكمل في هذا العدد فنقول وبالله تعالى التوفيق:

١٠- أن يدعو العبد ربه تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

ودليل ذلك قوله تعالى: «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها»، فإن معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته مما يزيد الإيمان ويقوي اليقين، ومعرفة العبد بها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: ربوبية، ألوهية، أسماء وصفات، وهذه الأنواع هي روح الإيمان وأصله وغايته.

ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء استهلاله بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وأن يتخير من أسماء الله وصفاته ما يناسب حاجته، كما في الصحيحين من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه: فأغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت

أي: من صفاتك العفو، وأنت تحب العفو، فأسألك بما تحبه، وما أنت متصف به، أن تعفو عني، فالسؤال يكون بذكر الصفة التي يتصف به الله تعالى، والتي يحبها في عباده.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كربه أمر قال: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث. [رواه الترمذي (٣٥٢٤) وحسنه الألباني].

١١- أن يتحرى العبد أوقات الإجابة، فإن ذلك ادعى للقبول وعدم الرد:

وهناك أوقات كثيرة يُستحب فيها الدعاء ويُجاب- بإذن الله- منها مثلاً:

١- جوف الليل وعقب الصلوات المكتوبة:

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فرعاً وهو يقول: سبحان الله، ماذا أنزل الله من الخرائن، وماذا أنزل من الفتن، ومن يوقظ صواب الحجرات يقمن فيصلين! [صحيح البخاري ١١٢٦].

قال الحافظ في الفتح: فيه استحباب الضراعة والدعاء وقت الليل رجاء الإجابة.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، أي الدعاء أسمع؟ قال: جوف الليل الأخير، ودبر الصلوات المكتوبات. [رواه الترمذي (٣٤٩٩) وحسنه الألباني].

قال مجاهد رحمه الله: إن الصلوات جعلت في خير الساعات، فعليك بالدعاء خلف الصلوات.

ب- بين الأذان والإقامة:

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يردُّ الدعاء بين الأذان والإقامة. [رواه أبو داود (٥٢١) وصححه الألباني].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة أت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة. [صحيح البخاري ٦١٤].

ج- عند نزول المطر:

عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « ثَنَانٌ لَا تَرْدَانِ، أَوْ قَلِمًا تَرْدَانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النَّدَاءِ وَعِنْدَ النَّاسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ». قَالَ مُوسَى: وَحَدَّثَنِي رَزَقُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: وَوَقْتُ الْمَطَرِ. [رواه أبو داود (٢٥٤٢) وصححه الألباني].

د- الدعاء في السجود:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجداً، فأكثروا الدعاء. [صحيح مسلم ٤٨٢].

هـ- في يوم عرفة ويوم الجمعة:

أما ما جاء في يوم عرفة، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خيرُ الدعاء دعاءُ يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. [رواه الترمذي ٣٥٨٥ وحسنه الألباني].

وأما يوم الجمعة، فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه. [صحيح مسلم ٨٥٢].

و- في الصيام والسفر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر. [رواه أبو داود ١٥٣٦ وحسنه الألباني].

ز- عند صياح الديكة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا سمعتم صياح الديكة، فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكاً. [صحيح البخاري ٣٣٠٣].

قال القاضي عياض رحمه الله: كان السبب فيه رجاء تامين الملائكة على دعائه، واستغفارهم له، وشهادتهم له بالإخلاص.

ح- عند القلق من النوم ليلاً:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته. [صحيح البخاري ١١٥٤].

ط- عند حضور الميت والجنائز:

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه، ثم قال: إن الروح إذا قبض تبعه البصر، فضج ناس من أهله، فقال صلى الله عليه وسلم: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره ونور له فيه. [صحيح مسلم ٢١٦٩].

والحمد لله رب العالمين.

من نور كتاب الله

أسباب دخول الجنة

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَيْبٍ أَوْ تَيْبَةٍ

أَخْبَتِ الْجَنَّةَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

[هود: ٢٣]

من دلائل النبوة

إخباره عن انتهاء ملك قيصر وكسرى

عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرٌ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» [سنن الترمذي ٢٢١٦ وصححه الألباني]

واحة التوحيد

أحاديث

باطلة لها آثار سيئة

«إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصوم ولا بصلاة، ولكن بسلامة الصدور، ونصيحة المسلمين». هو من وضع الصوفية، ويحض على ترك العمل الذي هو سبب لدخول الجنة. [السلسلة الضعيفة للألباني ٣/٦٦٨]

العلماء يوصون باتباع طريق السلف

عن نوح الجامع قال: قلت لأبي حنيفة: ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: مقالات الفلاسفة، عليك بالآثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة فإنها بدعة. [ذم الكلام للهروي ٥/٢٠٧]

من أقوال السلف

عن مالك بن أنس -رحمه الله- أنه سئل عن الكلام والتوحيد؟ فقال مالك: مُحَالٌ أَنْ يُظَنَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أنه علم أمته الاستنجااء ولم يعلمهم التوحيد. [ذم الكلام للهروي: ١/٢١٠]

حكم ومواعظ

عن أبي سليمان الداراني قال: من اشتغل بنفسه شغل عن الناس، ومن اشتغل بربه شغل عن نفسه وعن الناس. [سير اعلام النبلاء ١٠/١٨٥]

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

من حقوق المسلم على أخيه المسلم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لِلْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ سِتٌّ خِصَالٌ: يَعُودُهُ إِذَا مَرَضَ، وَيَشْهَدُهُ إِذَا مَاتَ، وَيَجِيبُهُ إِذَا دَعَا، وَيَسْلَمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَيَشْمِتُهُ إِذَا عَطَسَ، وَيُنْصَحُ لَهُ إِذَا غَابَ أَوْ شَهِدَ». [سنن الترمذي ٢٧٣٧ وصححه الألباني].

من جوامع الدعاء

عَنْ ابْنِ عُثْمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَانِي وَأَوَانِي وَأُطْعَمَنِي وَالَّذِي أَعْطَانِي فَأَجَزَلِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ. اللَّهُمَّ رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِكُهُ أَلِلَّهِ كُلِّ شَيْءٍ أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ» [سنن أبي داود ٥٠٦٠ وصححه الألباني].

إعداد: علاء خضر

من غريب الأحاديث

دثر: فيه الحديث «ذهب أهل الدثور بالأجور» [صحيح مسلم ١٠٠٦]. الدثور: جمع دثر، وهو المال الكثير، ويقع على الواحد والاثنين والجميع. [كشف المشكل لابن الجوزي ٢٤٤/١].

فضيحة النساء

مَرَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ بِقَوْمٍ مِنْ بَنِي نَمِيرٍ، فَادَامُوا النَّظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: يَا بَنِي نَمِيرِ، وَاللَّهِ مَا أَخَذْتُمْ بِوَاحِدَةٍ مِنْ اثْنَتَيْنِ: لَا يَقُولُ اللَّهُ (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَنْصَارِهِمْ)، وَلَا يَقُولُ جَرِيرٌ:

فَغَضَّ الظُّرُفَ إِيَّاكَ مِنْ نَمِيرٍ

فَلَا كَعْبًا بَلَعْتَ وَلَا كَلَامًا

فَاسْتَحْبَا الْقَوْمَ مِنْ كَلَامِهَا وَأَطْرَقُوا

[عيون الأخبار ١/ ٣٩٧]

الصبر على الأحكام

عَنِ الْعَجَّاجِ قَالَ: «قَالَ لِي أَبُو هُرَيْرَةَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ. قَالَ: يَوْشَكَ أَنْ يَأْتِيَكَ بَقَعَانُ الشَّامِ فَيَأْخُذُوا صِدْقَكَ، فَإِذَا أَتَوْكَ فَتَلْقَهُمْ بِهَا؛ فَإِذَا دَخَلُوهَا فَكُنْ فِي أَقْصَاهَا، وَخَلِّ عَنْهُمْ وَعَنْهَا. وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْبِيَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ سَبَيْتَهُمْ ذَهَبَ أَجْرُكَ، وَأَخَذُوا صِدْقَكَ. [عيون الأخبار ١/ ٣٧].

من فضائل الصحابة

عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: كَانَ السَّلَفُ يَعْلَمُونَ أَوْلَادَهُمْ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرُ كَمَا يَعْلَمُونَهُمْ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ. [مسند الموطأ ١/ ١٥].

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

تأثير قرائن

السياق

على الأحكام

الفقهية

الحلقة
(٥٩)

متولي البراجيلي

إعداد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد، فقد ذكرنا في الحلقة السابقة قريضة من أهم قرائن السياق - حسب مفهومها الواسع الذي سبق وأن أشرنا إليه كثيراً - ألا وهي عدم التعارض بين النصوص.

والتعارض: هو أن يتقابل الدليلان بحيث يخالف أحدهما الآخر، وشرع الله تعالى مبراً من هذا التعارض، فادلة الشرع حق، والحق لا يتناقض، بل يصدق بعضه بعضاً.

وتكلمنا عن أسباب هذا التعارض - الموهوم - والطرق المعينة على دفعه، والخطوات التي تتخذ لدفع هذا التعارض؛ فقلنا: إن الخطوة الأولى: هي الجمع بين الأدلة ما أمكننا ذلك، وضررنا أمثلة توضح كيفية الجمع.

ونستأنف البحث عن باقي خطوات دفع التعارض.

الخطوة الثانية: دفع التعارض بالنسخ:

أولاً: تعريف النسخ:

هو رفع الحكم الثابت بخطاب متقدم بخطاب متراج عنه. (روضة الناظر لابن قدامة ٢١٩/١).
وبتعريف آخر، هو: رفع حكم شرعي بدليل شرعي متراج. (شرح الكوكب المنير ٥٢٦/٣).

ويُعرف النسخ بأمور:

أولاً: دلالة اللفظ عليه صراحة:

١- ويكون ذلك في القرآن كقوله تعالى: (أَلَمْ يَنْخُلْ اللَّهُ عَنْكُمْ) [الأنفال: ٦٦]، فلفظ الآية يدل على تأخر الخطاب الشرعي المقترن بها، وكذلك قوله تعالى: (فَأَلَمْ يَنْخُلْ) [البقرة: ١٨٧].

٢- وفي السنة كتصريح النبي صلى الله عليه وسلم كما بحديث ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث، فامسكوا ما بدا لكم، ونهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء، فاشربوا في الأسقية كلها، ولا تشربوا مسكراً». (صحيح مسلم ح ١٩٧٧). وأما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فقد يكون ناسخاً بضوابط - وهذا هو الظاهر من كلام الإمام أحمد، واختاره بعض الشافعية، ومنعه ابن عقيل من الحنابلة والمجد بن تيمية، وقال: إن دلالات الفعل دون دلالات صريح القول، وقد أشار إلى ذلك الشوكاني في إرشاد الفحول، والمسألة فيها توسع. انظر شرح الكوكب المنير (٥٦٣/٣، ٥٦٤)، وإرشاد الفحول (٥٥/٢).

٣- وفي أقوال الصحابة كتصريح الصحابي بالنسخ: كقول عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن» (صحيح مسلم ح ١٤٥٢).

[فائدة: قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن. ليس معناه على ظاهره - كما يُظن - وإنما معناه قرب عهد النسخ من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى صار بعض الصحابة الذين لم يبلغهم النسخ يقرأه على أنه لم يُنسخ. فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن قراءته، وأجمعوا على أن هذا لا يُتلى.

وهذا قسم من أقسام النسخ: وهو نسخ التلاوة وبقاء الحكم، ونظير ذلك نسخ آية رجم الزاني المحصن وبقاء الحكم (انظر معالم السنن للخطابي ١٨٨/٣ وشرح النووي على مسلم ٢٩/١٠).

ثانياً: قرينة في سياق النص:

كقوله صلى الله عليه وسلم: «خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً...» الحديث. فهذا يشير إلى المنسوخ، وهو قوله تعالى: (وَأَلْقَى يَأْتِيكَ الْفُتُوحَةُ) الآية [النساء: ١٥]. (تيسير أصول الفقه للجديع ٨٤/٣).

ثالثاً: بمعرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ، أي المتقدم والمتأخر، وهذا من الصعوبة بمكان إن لم يوجد صريحاً في النص؛ لأن الصحابة يروي بعضهم عن بعض، فيروي المتأخر إسلامه عن المتقدم إسلامه دون أن يصرح بمن تحمل عنه الحديث، وهذا لا يقدح في صحة الحديث؛ لأن الصحابة كلهم عدول، كما هو مقرر عند أهل العلم، ومما يندرج تحت هذا: أن الأحكام الواقعة في حجة الوداع أو بعدها مما يعارض أحكاماً غير معلومة الناسخ فما ورد في تلك الحجة أو بعدها ناسخ لتلك الأحكام، لأن في تلك الحجة كمال الدين. [تيسير أصول الفقه للجديع ٨٥/٣].

رابعاً: بالإجماع على أن هذا الحكم منسوخ، كنسخ وجوب صوم يوم عاشوراء بصوم شهر رمضان. [الإجماع يكون مبيناً لنص الناسخ المتأخر وليس الإجماع هو الناسخ، لأنه كما هو معلوم لا نسخ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم].

ثانياً: أمثلة على دفع التعارض بالنسخ:

١- ما بين آيتين:

قوله سبحانه وتعالى في عدة المتوفى عنها

زوجها: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (البقرة: ٢٤٠). وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرِيصْنَ أَنْفُسَهُنَّ أَرْبَعَةً أَشْهُرًا وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (البقرة: ٢٣٤)، فالآية الأولى تبين أن المرأة كانت تعتد في بيت زوجها سنة إذا مات عنها، ثم نسخ ذلك بالآية الثانية، وقد أورد الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما - فكان الرجل إذا مات وترك امرأته اعتدت سنة في بيته، ينفق عليها من ماله ثم أنزل الله تعالى ذكره بعد: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً)، فهذه عدة المتوفى عنها زوجها، إلا أن تكون حاملاً فعدتها أن تضع ما في بطنها. (تفسير الطبري: ٢٥٥/٥)، وكذلك أورد بسنده عن الضحاك: كان الرجل إذا توفي أنفق على امرأته في عامه إلى الحول، ولا تتزوج حتى تستكمل الحول وهذا منسوخ. (السابق).

كما أن الآية الأولى بها حكم ثان منسوخ وهو الوصية للزوجات، فقد نسخ هذا الحكم بآية الميراث بقوله تعالى: (وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّلُثُ مِمَّا تَرَكْتُمْ) (النساء: ١٢)، وأورد الطبري بسنده عن عكرمة والحسن البصري قالا: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهن متاعاً إلى الحول غير إخراج) نسخ ذلك بآية الميراث، وما فرض لهن فيها من الربع والثلث، ونسخ أجل الحول أن جعل أجلها أربعة أشهر وعشراً. (السابق ٢٥٧/٥).

قلت: وهذا مروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في سنن أبي داود (انظر صحيح سنن أبي داود ح ١٩٨٩)، وإن كان ثمة قول آخر عن الآية الأولى أنه لم ينسخ منها شيء وأنها ثابتة الحكم، أورد الطبري عن مجاهد في قول الله: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرِيصْنَ أَنْفُسَهُنَّ أَرْبَعَةً أَشْهُرًا وَعَشْرًا) (البقرة: ٢٣٤).

قال: كانت هذه للمعتدة، تعتد عند أهل زوجها، واجباً ذلك عليها، فأنزل الله: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهن متاعاً إلى الحول غير إخراج) إلى قوله (من معروف). قال: جعل الله لهم تمام السنة، سبعة أشهر وعشرين ليلة، وصية، إن شاعت سكنت في وصيتها، وإن شاعت خرجت، وهو قول الله تعالى ذكره: (غير إخراج فإن خرجن

عيناه، فجاءته امرأته، فلما رآته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية: **(أَجَلٌ لَكُمْ يَكُونُ فِيهِ لَكُمْ لَهْوٌ مُعْتَدِلٌ يُؤْتِيكُمْ فِيهِ مَالٌ كَثِيرٌ مِّنْ مَّا كُنْتُمْ تُكْسِبُونَ)** (البقرة: ١٨٧) ففرحوا بها فرحاً شديداً، ونزلت: **(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ)** (البقرة: ١٨٧) (صحيح البخاري ح ١٩١٥).

وأخرج البخاري أيضاً بسنده عن البراء رضي الله عنه: «لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله: **(عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَاوُنَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ)**» (البقرة: ١٨٧) (صحيح البخاري ح ٤٥٠٨).

[ملاحظات: ١- المثال المضروب من نسخ ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم في أول أمر الصيام، يُعد من السنة التقريبية؛ إذ كانوا يفعلون ذلك بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معهم، ولم ينكر عليهم صلى الله عليه وسلم.

٢- لا يوجد تعارض بين الآية والحديث - لأن هذا من النسخ الذي جاء بنص، وهذا القسم من النسخ لا إشكال فيه، وليس هذا من باب التعارض، ولكن ذكرته من باب تمام الفائدة، وللتوسع في النسخ ومسائله ينظر في كتابي دراسات في أصول الفقه ١٥٥-١٧٠].

٣- النسخ ما بين حديثين:

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنما الماء من الماء). (صحيح مسلم). والماء الأول في الحديث هو ماء الغسل لإزالة الجنابة، وأما الماء الثاني فهو المني. وهذا من باب الجناس التام، والمعنى: أنه لا غسل على من جامع إلا بنزول المني.

وكذلك ما ورد عن أبي كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: في الرجل يأتي أهله ثم لا يُنزل، قال: يغسل ذكره ويتوضأ. (صحيح مسلم).

الحديث المعارض: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا جلس بين شعبها الأربع، ثم جهدها، فقد وجب عليه الغسل. (متفق عليه)، وفي رواية مسلم: «وإن لم يُنزل».

وجه التعارض:

في الحديثين الأولين يقول النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا غسل للجنابة على من جامع أهله ثم لم يُنزل المني. بينما في حديث أبي هريرة رضي الله

عنه فلا جناح عليكم)، قال: والعدة كما هي واجبة. (تفسير الطبري ٢٥٨/٥).

ورجح الطبري أن النسخ واقع في العدة وفي الوصية، فنسخت الوصية بآية الميراث، وأبطل مما كان جعل لهن من سكنى حول (سنة) سبعة أشهر وعشرين ليلة، وردهن إلى أربعة أشهر وعشر، على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ثم أورد بسنده عن فريضة أخت أبي سعيد الخدري - رضي الله عنهما - أن زوجها خرج في طلب عبد له، فلحقه بمكان قريب فقاتله، وأعان عليه أعبد معه فقتلوه، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن زوجها خرج في طلب عبد له، فلحقه علوج (العلج: هو الرجل من كفار العجم) فقتلوه، وإني في مكان ليس في أحد غيري، وإن أجمع لأمرني أن أنتقل إلى أهلي! فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل امكثي مكانك حتى يبلغ الكتاب أجله»، قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشراً. (انظر تفسير الطبري ٢٥٩/٥، وصحيح سنن أبي داود ح ١٩٩٢).

[فائدة: فإن قيل: إن الآية الناسخة متقدمة في سورة البقرة، آية ٢٣٤، والآية المنسوخة متأخرة، آية ٢٤٠. والناسخ ينبغي أن يكون متأخراً عن المنسوخ؟

قيل: هو في التنزيل متأخر وفي التلاوة متقدم. فإن قيل: فلم قدم في التلاوة مع تأخره في التنزيل؟ قيل: ليسبق القارئ إلى تلاوته ومعرفة حكمه حتى إن لم يقرأ ما بعده من المنسوخ أجزاءه (النكت والعيون للماوردي ٣٠٢/١).

٢- النسخ ما بين آية وحديث:

قوله سبحانه وتعالى: **(أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثِ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ مِّنْ لَّيَالٍ لَّسَ لَكُنَّ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَخْتَاوُنَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ)** (البقرة: ١٨٧)، فالآية ناسخة لحكم سابق - لكن هذا الحكم لم يرد في القرآن - وإنما كان ثابتاً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت الآية ناسخة له، وهذا الحديث أخرجه البخاري بسنده عن البراء رضي الله عنه، قال: كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائماً، فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر لم ياكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً، فلما حضر الإفطار أتى امرأته، فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فغلبته

القطعية؛ لأن الترجيح فرع التعارض. (انظر فتاوى ابن تيمية ١٣ / ١١٠، ١١١، ١٢٠، شرح الكوكب المنير ٦٠٧/٤).

[فائدة: ذكرنا أن التعارض لا يكون إلا بين دليلين ظنيين فقط. فهذا يتطلب - باختصار - معرفة ما هو الدليل الظني؟

الأدلة تنقسم إلى قسمين من ناحية الثبوت:

١- دليل قطعي الثبوت: وهو ما نقل إلينا بالتواتر من قرن إلى قرن، حتى وصل إلينا، وبالتالي فإن القرآن كله قطعي الثبوت.

٢- دليل ظني الثبوت:

أما السنة فمنها ما هو قطعي الثبوت، ومنها ما هو ظني الثبوت. فالأحاديث المتواترة قطعية الثبوت؛ لأنها نقل جمع عن جمع في كل طبقة من طبقات السند، وأحاديث الأحاد ظنية الثبوت؛ لأنها لم يتحقق فيها شرط المتواتر - من ناحية العدد - مع ملاحظة أن السنة كلها متواترة أو أحادية يجب العمل بها، وإن فائدة هذا التقسيم تكون عند التعارض، وعدم إمكانية الجمع، فيلجأ إلى الترجيح، والتواتر والآحاد من أوجه الترجيح الكثيرة.

وكذلك تنقسم الأدلة من ناحية القطع إلى قسمين: قطعي الدلالة، ظني الدلالة، وهذا يكون في القرآن وفي السنة:

١- دليل قطعي الدلالة: وهو ما دل على معنى متعين فهم منه (معنى واحد) ولا يحتمل تأويلًا، ولا مجال لفهم معنى غيره (انظر علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ٣٥)، مثال ذلك، قوله تعالى: (الْأَرْيَاءُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) (النور: ٢)، فهذا نص قطعي الدلالة في حد الزنا، لا وجه للخلاف فيه بين أحد من أهل العلم.

٢- دليل ظني الدلالة: وهو ما دل على معنى، ولكن يحتمل أن يصرف هذا المعنى أو يؤول أو يراد معنى غيره. (انظر المرجع السابق).

مثال ذلك: قوله تعالى: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْصِدْنَ بَأْنَفْسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) (البقرة: ٢٢٩)، «فالقراء» عند العرب يُطلق على الحيض، وكذلك على الطهر؛ لذا اختلف العلماء في حساب عدة المرأة المطلقة، فمنهم من عدها بالحيضات، ومنهم من جعلها بالأقراء، وهذا من الخلاف السائغ بين العلماء، لأن النص ظني الدلالة، يحتمل المعنيين. وما قلناه عن مثالي القرآن، يقال أيضًا عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

عنه أوجب النبي صلى الله عليه وسلم الغسل على من جامع أهله وإن لم ينزل المني. ولا نستطيع هنا أن نجمع بين الأحاديث، فإما الاغتسال أو عدم الاغتسال.

دفع التعارض:

أولاً: التأكد من صحة الأحاديث: الأحاديث الثلاثة في الصحيح.

ثانياً: حديث أبي هريرة رضي الله عنه ناسخ للحديثين الأولين وما في معناهما.

قال النووي: العمل على هذا الحديث (حديث أبي هريرة رضي الله عنه)، وأما حديث (الماء من الماء) فالجمهور من الصحابة ومن بعدهم قالوا: إنه منسوخ (شرح النووي على مسلم ٣٦/٤).

ويؤكد هذا ما ورد عن أبي بن كعب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما جعل ذلك رخصة للناس في أول الإسلام، كقلة الثياب، ثم أمر بالغسل، ونهى عن ذلك. قال أبو داود: يعني: الماء من الماء (صحيح سنن أبي داود وغيره).

وقد أورد الطحاوي في شرح معاني الآثار عدة أحاديث وأثار في هذه المسألة، ومنها أن عمر لما اختلف الصحابة في هذه المسألة أرسل من يسأل أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فقالت عائشة رضي الله عنها: إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل. (انظر شرح معاني الآثار ٥٣/١-٦١).

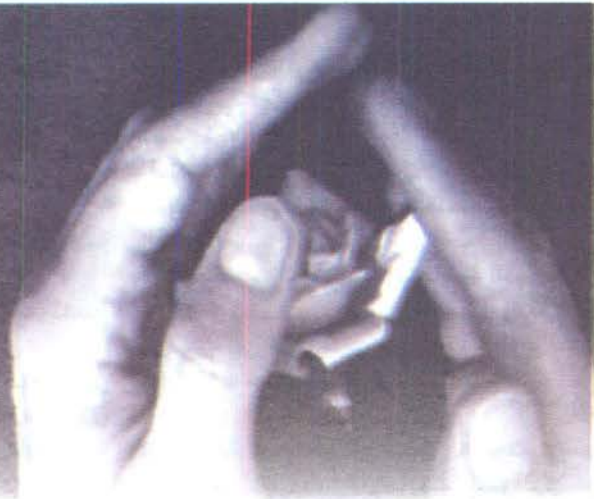
تنبيه: حديث (إنما الماء من الماء) ما نُسخ فيه هو مفهوم المخالفة فقط، ولم ينسخ منطوق الحديث، فالمنطوق: وهو إيجاب الغسل بنزول المني، هذا لا خلاف فيه. أما مفهوم المخالفة وهو عدم إيجاب الغسل عند عدم نزول المني، فهو الذي نسخ.

ثالثاً: الترجيح:

هو تقوية أحد الدليلين عن الآخر، ولا يكون إلا مع وجود التعارض، ولا يصار إليه إلا بعد محاولة الجمع بين الأدلة المتعارضة - كما سبق -، فكما علمنا فإن الجمع مقدم على الترجيح، ولا يجوز ترجيح أحد الدليلين المتعارضين على الآخر بدون دليل؛ إذ إن ترجيح أحد الدليلين المتعارضين عن الآخر بدون دليل تحكم، وهو باطل: فلا يجوز في الشرع التخير بالتشهي والهوى بلا دليل ولا برهان.

ومحل الترجيح هو الظنيات، حيث إن التعارض لا يكون إلا بين دليلين ظنيين فقط، فلا يمكن التعارض بين دليلين قطعيين اتفاقاً. فكذا الترجيح لا يكون إلا بين دليلين ظنيين: فلا مدخل للترجيح في الأدلة

صيانة الأعراض



الشيخ: مصطفى العدوي

كتبه

ولقد حرم الله سبحانه وتعالى الزنا، ولم يرد في أي شريعة من الشرائع التي نزلت من عند الله سبحانه شيء يبيح الزنا بحال من الأحوال، لا في الإسلام، ولا في اليهودية، ولا في النصرانية، ولا في أي شرع نزل من عند الله، بل اتفقت الشرائع كلها على تحريمه، ومن ثم جاء في شريعتنا مزيد من الاحتياطات، وكان من هذه الاحتياطات أن حرم الوسائل المؤدية إليه، وحث على الوسائل الواقية منه.

أولاً: تحريم الوسائل المؤدية إليه، ومن ذلك:

١- حرمة خضوع النساء بالقول:

إن من السبل الموصلة إلى هذه الفاحشة الكبرى: خضوع النساء بالقول، ورب العزة يقول في كتابه الكريم: (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) [الأحزاب: ٣٢] فالنساء اللواتي يخضعن بالقول، ويرققن القول للرجال الأجانب مرتكبات للمأثم، ومرتكبات للحرام، فثم رجال في قلوبهم مرض إذا رقت المرأة في قولها له ظن أنها تريد منه الفاحشة قولاً واحداً، ولا يفكر فيما سوى ذلك، ومن ثم نهى الله سبحانه النساء عن الخضوع بالقول فقال: (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) [الأحزاب: ٣٢]، وقال سبحانه: (وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا) [البقرة: ٢٣٥]. فلا ينبغي لامرأة أن تخضع بقولها في الهاتف، ولا في حديثها مع الرجال الأجانب، فإن ذلك يدعو إلى الفاحشة ويزينها، ولكن كما قال القائل أيضاً:

وما عجب أن النساء ترحلن

ولكن تأنيت الرجال عجاب

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

وبعد: فإن من أجل المقاصد التي جاءت بها الشرائع بعد الأمر بتوحيد الله عز وجل صيانة الأعراض، ومن ثم قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَا يُنْزِلُ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [الأعراف: ٣٣]، فانفقت الشرائع كلها على تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وكان من أبشع هذه الفواحش فاحشة الزنا، جاء التحذير منها أيما تحذير، قال الله سبحانه: (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ، إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) [الإسراء: ٣٢]، وقال الله سبحانه: (وَالَّذِينَ هُمْ يُقْرَبُونَ حَفِظُوا ٥) [الاعلان: ١٧]، (وَأَزْوَاجَهُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦) (مَنْ أَتَى ٧) (وَرَأَى ذَلِكَ فَاُؤْتِيكَ هُمْ الْعَادُونَ) [المؤمنون: ٥-٧]، وقال سبحانه: (وَلَا يَزْنِيكَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٨) (يَضَعُ لَهُ لُكْذَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَجْزِيهِ مَكَانًا ٩) [إلا من تاب] [الفرقان: ٦٨-٧٠].

وقال سبحانه: (الرَّائِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدَا كُلَّ وَجْهٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمَا رِجَالُهُ فِي يَوْمِ ذَلِكَ إِن كُنتُمْ تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشِدَّةُ عَنْهَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢) (الَّذِينَ لَا يَنْكِحُوا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) [النور: ٢-٣]، وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (ورأيت رجلاً ونساء عراة على مثل التنوير ياتيهن لهب من تحتهم فيحرق فروجهن، فقلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزناة والزواني يا محمد!) رواه البخاري.

هذا شيء من عقوبتهم ذكر على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، يبين مدى الألم الذي يلحق بهذه الفروج، التي استمتعت بالحرام، وتلذت بالفحش والعياذ بالله!

فثم رجل يتحدث في الهاتف أو مع الناس بأسلوب جاف وقوي، فإذا تحدث مع النساء خضع لهن بالقول كما تفعل النسوة، فيقع في حباله نساء كثيرات يفتن بهن ويفتن به، فكل ذلك من السبل الداعية إلى هذه الرذيلة، وإلى هذه الفاحشة، فاحشة الزنا والعياذ بالله!

٢- حرمة سماع الغناء:

ومن السبل الموصلة إلى هذه الفاحشة سبيل الاستماع إلى الغناء المصحوب بالمعازف الذي يهيج الكامن ويثير الشر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف) (رواه البخاري).

فكل أغنية مصحوبة بالموسيقى أو بالمعازف حرام، فالمعازف حرام لما سمعتموه من نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام، وكذلك تلك الأغاني التي لم تصحب بالمعازف، ولكنها تزين الفحش وترغب في الفجور، كتلك الأغاني الساقطة الهابطة، التي تقول فيها امرأة: خذني بحنانك خذني، ونحو هذه الأغاني الهابطة الساقطة، التي لا تنم إلا عن فحش، ولا تدفع إلا إلى شر، فالاستماع إلى ذلك فيه نشر للفساد، والله يقول في كتابه الكريم: **(وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ)** [البقرة: ٢٠٥].

٣- حرمة التبرج والتبرج والسفور:

وكذلك من السبل الموصلة إلى هذه الفاحشة، التبرج المزري الذي يفعل الآن، تخرج النساء كاسيات عاريات، كأنه خفي عليهن قول نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: (صنفان من أمتي من أهل النار لم أرهما، نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، رعوسهن كاسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) رواه مسلم.

فهذا التبرج المزري الذي نهى عنه ربنا في قوله: **(وَلَا تَجْعَلنَّ بَيْنَكَ وَالْأَهْلِ الْأَوَّلَى)** [الأحزاب: ٣٣] من أعظم الدوافع إلى الشر، ومن أعظم الدوافع إلى الفساد، كيف يفعل هذا الشاب الممتلئ رجولة وفحولة إذا رأى امرأة تسير في الطريق بهذه المناظر القبيحة؟ كيف يفعل الشاب إذا نظر إلى فيلم مؤداه الدعوة إلى الرذيلة ومضمونه قصة حب أو عشق ثلث إلى زنا والعياذ بالله؟ كيف يفعل هذا الشاب إذا رجع إلى بيته ووجد أمامه في البيت أخته المتبرجة هي الأخرى؟ ألا يثول ذلك إلى فعل الفواحش حتى مع المحارم والعياذ بالله؟!

إن التبرج نهى عنه ربنا ونهى عنه نبينا محمد عليه الصلاة والسلام أيما نهى، بل قال نبينا عليه الصلاة والسلام حاثاً على ستر المرأة لجميع بدنها، قال عليه الصلاة والسلام: (المرأة عورة، فإذا خرجت

استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون المرأة من ربها وهي في قعر بيتها) رواه الترمذي بسند صحيح. ومن ثم جاءت نصوص نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام تحث المرأة على القرار في البيت، إذ هي بخروجها تطمع الشريرين فيها، وتتسبب في الغواية بها: (صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد، وصلاتها في حجرتها أفضل من صلاتها في بيتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في حجرتها) رواه أبو داود بسند صحيح.

وكذلك لا يخفى عليكم أن المرأتين اعتذرتا إلى موسى لما سألهما فقال لهما: **(أَخْطَبُكُمْ فَأَنْتَا لَا تَسْقِي حَتَّى يَصْدُرَ الرَّجُلَانِ وَأَنْتَا شَيْخٌ كَبِيرٌ)** [القصص: ٢٣] أي: إنما الجائنا الضرورة إلى أن نخرج من بيوتنا وإلى أن نسقي الأنعام، فأبونا شيخ كبير، فلم تكن الفضليات يخرجن إلا للضرورات، وعند الحاجات، وعند الملهمات، فالقرار في البيت من أفضل الوسائل للابتعاد عن جريمة الزنا، وعن الافتتان بالنساء، فإن الفتنة بالنساء من أعظم الفتن على الإطلاق، إذ قال ربنا: **(زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ)** [آل عمران: ١٤] فصدرت الشهوات بالنساء، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: (فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء) رواه مسلم.

وكذلك قال عليه الصلاة والسلام: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) رواه البخاري. فهذه سبل ذكرنا بها نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وحذرنا من كل سبيل يدعو إلى الوقوع في هذه الفاحشة.

٤- حرمة الخلوة بالمرأة الأجنبية:

ومن السبل الداعية إلى هذه الفاحشة والميسرة لها، الخلوة بالنساء الأجنيات اللواتي لسن بمحارم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إياكم والدخول على النساء، قال رجل: أفرأيت الحمى يا رسول الله -أي: قريب الزوج؟ قال: الحمى الموت) متفق عليه. هكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام، فالذين يتساهلون ويدخلون إخوانهم على زوجاتهم، والذين يتساهلون ويدخلون أبناء عمومتهم على نسائهم، عليهم أن يستمعوا إلى المذكور في حديث النبي عليه الصلاة والسلام: (الحمى الموت)، فلا تتساهل -يا عبد الله- في إدخال رجل أجنبي بيتك، وإن كان هذا الرجل قريباً لك، وإن كان هذا الرجل في ظنك تقياً، فإن رجلاً في زمن نبيكم محمد -وهو أفضل الأزمان- دخلوا على نساء فصدرت منهم الفواحش، جاء رجل إلى النبي محمد عليه الصلاة والسلام -كما في البخاري- وقال: (يا رسول الله إن ابني كان عسيفاً عند هذا الرجل -أي: أجيراً عنده- فزنى

بامرأته) متفق عليه.

حدث هذا على عهد نبينا محمد، رجل أجبر عند آخر زنى بامرأته.

واقع مؤلم:

وقد يقع مثل ذلك الآن مع أقوام قلت غيرتهم، يدخلون المدرس الخصوصي البيت في غياب الرجال، فيدخل يعبت بالبنات، ويعبت بالنساء في غياب الرجل، وهذه خلوة محرمة، وكذلك لا يمكن الطبيب من الخلوة بالمرأة، فالطبيب رجل والمرأة امرأة، وكذلك قد يتخذ الطبيب ممرضة في عيادته، ويدخلها على الرجال، أو هو نفسه يخلو بها، فكم من بلية حدثت بسبب هذه اللقاءات بين الرجال وبين النساء، فلم يبح الله لطبيب أن يخلو بممرضة، ولا لمدرس أن يخلو بطالبة، ولا لسائق أن يخلو بربة بيت ولا بامرأة، ولا لرجل أن يخلو بخادمة في بيته، ولا لمدير أن يخلو بسكرتيرة، كل هذا محرم، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (ألا لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان) رواه الترمذي بسند صحيح.

فجدير بك -يا عبد الله- أن تحرص على نفسك غاية الحرص من هذه الفتنة، فجريمة واحدة من هذه الجرائم، وفعلة واحدة تنكد عليك دينك، وتنكد عليك أخراك، قال النبي عليه الصلاة والسلام قال: (وما فعل قوم الفاحشة إلا ظهرت فيهم الأوجاع التي لم تكن في الأمم من قبلهم) رواه ابن ماجه بسند حسن.

فالحذر الحذر -أيها الناس- من هذه الفتنة الكبرى، ومن مقدماتها، قال تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَجِيسَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) [الإسراء: ٣٢].

٥- حرمة سفر المرأة بدون محرم:

نهى النبي عليه الصلاة والسلام المرأة عن السفر بدون محرم، لماذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم المرأة عن السفر بلا محرم؟ منعاً من وقوعها في هذه الفاحشة، فالمرأة بجبلتها ناقصة الدين، وناقصة العقل، تخضع من الماكرين، فمن ثم قال عليه الصلاة والسلام: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر إلا ومعها محرم) رواه البخاري.

٦- حرمة تطيب المرأة عند خروجها:

وكذلك نهى النبي عليه الصلاة والسلام المرأة عن التطيب عند خروجها، حتى لا تجذب إليها أنظار الرجال، قال عليه الصلاة والسلام: (أيما امرأة خرجت من بيتها متطيبة فمرت يقوم ليجدوا ريحها فهي زانية) رواه النسائي بسند حسن. والزنا مراتب كما لا يخفى عليكم، قال عليه الصلاة والسلام: (أيما امرأة شهدت معنا العشاء الآخرة، فلا تمسن طيباً، ولا تمسن بخوراً) رواه مالك في الموطأ.

كل ذلك حتى لا تجذب إليها الرجال، وقال تعالى: (وَلَا يَصْرَفْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ السَّمِيمُ الْعَلِيمُ) [النور: ٣١].

٧- التفريق بين الأولاد في المضاجع:

وأمر نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام كذلك بالتفريق في المضاجع داخل البيوت، فلا تترك ابنتك المراهقة الشابة متبذلة في ثيابها أمام إخوانها الذين قد امتلأوا فحولة، وتتركهم ينامون في فراش واحد، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (علموا أولادكم الصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع) رواه أبو داود بسند صحيح.

هكذا أدبكم نبيكم محمد عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، فالتمسوا سنته، واقفوا أثره، واهتدوا بهديه، عسى الله سبحانه أن يلحقكم به في أعلى جنة الخلد التي أعدت للمؤمنين.

٨- تحريم النظر إلى النساء:

جاء في شريعتنا تحريم كل سبيل يؤدي إلى هذه الفاحشة، سدت كل الدرائع التي توصل إلى هذه الفاحشة، ابتداءً من النظر إذ قال ربنا سبحانه:

(قُلِ الْمُؤْمِنِينَ يَفْعَلُونَ مِنَ امْرِئِهِمْ وَيَتَخَفَتُونَ فَرُوحَهُمْ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ إِذْ هُمْ إِذَا بَعْضُهُمْ أَمْسَبَتُهُمْ أَعْيُنُهُمْ كَالْحُمْضِ ذُقُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا حَكِيمًا) [النور: ٣٠-٣١]. فجاء تحريم النظر المحرم الذي يثول بصاحبه إلى هذه الفاحشة،

وسواء كان النظر إلى أجساد العاريات، أو كان النظر إلى المجلات الساقطة الهابطة التي تنشر صور العرايا من النساء، مهيجة للناس على فعل الفواحش كما قال ربنا: (وَرَبُّكَ الْكَرِيمُ يُجِيبُ الْمُتَّقِينَ) [النساء: ٢٧].

فالنظر إلى الصور العارية في المجلات، وكذلك إلى المناظر العارية في أجهزة الإعلام من تلفاز وإنترنت وفيديوهات كل ذلك محرم، النظر إلى المناظر العارية المهيجة للشهوات والمعينة على الفسق والفجور كل ذلك محرم وممنوع، وكذلك ما يفعله شرار الشباب الفساق الذين يتجولون على المحلات التي تباع ملابس النساء الداخلية، فينظرون إلى قمصان النساء ويتغزلون فيها، فكل ذلك من النظر المحرم، إذ كان يثير الشهوات ويشجع عليها، وكذلك النظر إلى المردان الذي يثول إلى فعل الفواحش بهم ومعهم، كل ذلك حرمه جمهور العلماء؛ صيانة للإنسان، ودرءاً لهذه الفتنة العظمى والبلية الكبرى بلية الزنا، التي تفسد على الشخص حياته وتنكد عليه معيشتة.

فاول سبيل يؤدي إلى الفاحشة النظر، ولذا حرمه الله سبحانه بالآيات التي سمعتم، وقد

سُئِلَ نَبِيكُمْ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ نَظَرِ الْفَجَاءَةِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اصْرَفْ بَصْرَكَ) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.
وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ فِيهِ كَلَامُ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: (النَّظَرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سَهَامٍ إِبْلِيسَ مِنْ تَرْكِهَا مَخَافَةُ اللَّهِ أَبْدَلَهُ اللَّهُ إِيْمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ)، فَهَذَا النَّظَرُ الْمَحْرَمُ، حَرَمَهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْنَا دَرَأٌ لِهَذِهِ الْفِتْنَةِ، وَدَرَأُ لِهَذِهِ الْبَلِيَّةِ.

ثَانِيًا: تَشْرِيعُ وَسَائِلِ الْوَاقِيَةِ مِنَ فَاحِشَةِ الزَّانَا:

فَمِنْ السَّبِيلِ الْوَاقِيَةِ مِنْ هَذِهِ الْفَاحِشَةِ الْكُبْرَى، بَلْ مِنْ أَكْثَرِ السَّبِيلِ عَلَى الْإِطْلَاقِ لِلوَاقِيَةِ مِنْهَا:

١- مِرَاقِبَةُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

مِرَاقِبَةُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَقَدْ قَالَ رَبُّكُمْ سَبْحَانَهُ: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) [غَافِر: ١٩]
فِرَاقِبُوا اللَّهَ، وَاعْلَمُوا وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ هَذِهِ النُّظُرَاتِ الْمَحْرُومَةُ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ، وَيَعْلَمُ كَذَلِكَ مَا تَكْتُمُهُ الصُّدُورُ وَمَا تَعْلَنُ، فَرَأْسُ الْأَمْرِ مِرَاقِبَةُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، وَالْخَوْفُ مِنْ عِقَابِهِ جَلُّ وَعَلَا، هَذَا رَأْسُ النِّجَاحِ.

٢- الزَّوْاجُ:

ثُمَّ إِنَّ هُنَاكَ سَبِيلًا آخَرَ عَلَّمَنَا إِيَّاهُ وَذَكَرْنَا بِهِ نَبِيْنَا مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغْضَى لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنَ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَكَذَلِكَ عَلَيْكَ بِالِاسْتِعْظَافِ قَالَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ: (وَلْيَسْتَعِظِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُفْهِمَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) [النُّور: ٣٣].
فَرِغْنَا نَبِيْنَا فِي الزَّوْاجِ دَفْعًا لِهَذِهِ الْفِتْنَةِ الْعَظْمَى، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ الْمَالِ مَا تَتَزَوَّجُ بِهِ بَكَرًا فَتَزَوَّجْ وَلَوْ بِثَيْبٍ، امْرَأَةٌ مَاتَ عَنْهَا زَوْجُهَا وَتَرَكَ لَهَا أَطْفَالَ وَبَنِيَاتٍ صَغِيرَاتٍ، عِنْدَهَا أَثَاثٌ، وَعِنْدَهَا بَيْتٌ، لَا تَسْأَلُ إِلَّا بَعْلًا يَسْتَرْهَا، فَتَقْدَمُ لِمِثْلِ هَذِهِ وَتَعْفُفُ بِهَا، فَإِنَّ نَبِيَّكَ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ تَزَوَّجَ أَوَّلَ مَا تَزَوَّجَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَهِيَ تَكْبَرُهُ بِخَمْسَةِ عَشَرَ عَامًا وَهِيَ ثَيْبٌ، وَكَانَتْ مِنْ أَحَبِّ نِسَائِهِ إِلَيْهِ، وَلَمَّا كَانَ يَكْثُرُ مِنْ ذِكْرِهَا عَاتَبَتْهُ عَائِشَةُ فِي ذَلِكَ غَيْرَةً، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (إِنِّي رَزَقْتُ حُبَهَا) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ ثَيْبًا وَأَكْبَرَ مِنْهُ سَنًا.

فَإِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَتَزَوَّجَ بِبَكَرٍ فَتَزَوَّجْ بِثَيْبٍ وَتَعْفُفْ بِهَا، وَاكْفَلْ أَيْتَامَهَا، قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، وَفَرَقَ بَيْنَ أَصْبَعَيْهِ) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَكَذَلِكَ قَالَ: (السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ كَالصَّائِمِ الَّذِي لَا يَفْطُرُ، وَكَالْقَائِمِ

الَّذِي لَا يَفْتَرُ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

لَا تَنْتَظِرُ سَنَةً كَامِلَةً مُتَأَخِّرًا عَنِ الزَّوْاجِ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَجْهَزَ غُرْفَةً لِلْسَّفَرَةِ، كُلُّ -يَا عَبْدَ اللَّهِ- عَلَى الْأَرْضِ، وَعَجَلْ بِالْبِنَاءِ قَبْلَ سَنَةٍ، كُلُّ عَلَى الْأَرْضِ وَلَا يُلْزِمُكَ أَنْ تَوْجَلَ عَامًا مِنْ أَجْلِ أَنْ تَشْتَرِيَ بَعْضَ الْكَرَاسِيِّ وَسَفَرَةٍ تَأْكُلُ عَلَيْهَا، فَكُنْ عَاقِلًا وَكُنْ ذَكِيًّا فِي صَنْعِكَ.

كَذَلِكَ لَا تَنْتَظِرُ عَامَيْنِ آخَرَيْنِ حَتَّى تَجْهَزَ غُرْفَةً نَوْمٍ كَبْرَى، وَلَكِنْ نَمْ عَلَى الْمِيسُورِ، وَإِذَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَوَسَّعَ عَلَى نَفْسِكَ، وَوَسَّعَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ، فَنَبِيَّكَ مُحَمَّدٌ كَانَ يَنَامُ عَلَى الْحَصِيرِ حَتَّى يُوْثِّرَ الْحَصِيرَ فِي جَنْبِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَامُ أَجَرَ نَفْسَهُ ثَمَانِيَةَ أَعْوَامٍ، بَلْ أَتَمَّ أَكْمَلَ الْأَجْلَيْنِ وَأَفْضَلَ الْأَجْلَيْنِ عَشْرَ سَنَوَاتٍ أَجِيرًا مِنْ أَجْلِ عِفَّةِ فَرْجِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيْنَا وَسَلَمَ.

فَبَادِرُوا إِلَى التَّعَفُّفِ يَا عِبَادَ اللَّهِ! فَيَا دُعَاةَ الْإِسْلَامِ! كُونُوا مِنْ ذَوِي الْغَيْرَةِ عَلَى الْأَعْرَاضِ، وَكُونُوا مِنْ ذَوِي الْغَيْرَةِ عَلَى النِّسَاءِ، لَا يَسْمَحُ أَحَدُكُمْ لَامْرَأَتِهِ وَلَا لِابْنَتِهِ أَنْ تَخْرُجَ مُخْتَلِطَةً تَزَاحِمُ فِي الْمَوَاصِلَاتِ، مُتَبَرِّجَةً يَنْظُرُ إِلَيْهَا الْقَاصِي وَالِدَانِي، يَا دُعَاةَ الْإِسْلَامِ! مِنْ مَنكُمْ يَرْضَى أَنْ تَزْنِيَ أُخْتُهُ؟ مِنْ مَنكُمْ يَرْضَى أَنْ يَنْظُرَ الشَّبَابُ الشَّرِيرَ الْمُسَدِّ إِلَى أُخْتِهِ نَظْرَةً بِهَا أَدَّى وَبِهَا مَكْرُوهٌ؟ فَعَفُوا عَنِ نِسَاءِ النَّاسِ تَعَفُّ نَسَاؤُكُمْ، وَيَعَفُّ الْأَجَانِبُ عَنِ بَنَاتِكُمْ.

٣- التَّحْذِيرُ مِنْ مَكْرِ الْعَاقِبِينَ بِالْأَعْرَاضِ:

فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ صَارَ الذَّنَابُ يَفْتَرِسُونَ الْفِتَاةَ، وَلَا يَرْضَوْنَ بِافْتِرَاسِهَا مَرَّةً، بَلْ مَرَاتٍ وَمَرَاتٍ مُتَعَدِّدَةً، تَكْثُرُ شِكَاوَى النِّسَاءِ التَّائِيِبَاتِ، فَتِيَّاتُ كُنْ غَاوِيَّاتٍ فِي بَعْضِ أَزْمَانِهِنَّ، فَجَبَّتْ بَهْنَ عَابِثٌ، وَارْتَكَبَ مَعَهُنَّ الْفَاحِشَةَ مَرْتَكِبٌ، ثُمَّ صَوَّرَهَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، وَسَجَّلَ كَلَامَهَا وَهِيَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مِنَ الْفَحْشَى، ثُمَّ لَمَّا تَابَتْ إِذَا هُوَ يَطَارِدُهَا وَإِذَا هُوَ يَهْدِدُهَا، إِمَّا أَنْ تَمْكَنَهُ ثَانِيَةً مِنْ نَفْسِهَا وَإِلَّا نَشَرَ الْأَشْرَطَةَ، وَنَشَرَ الصُّورَ، وَنَشَرَ الْمَنَاطِرَ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنِهَا، فَتَذَعْنَ الْمَرَاةَ وَتَنْتَكِسُ مَرَاتٍ وَمَرَاتٍ، وَالْمَعْصُومَاتُ مِنْ عَصَمَهُنَّ اللَّهُ.

فَجَدِيرُ بِكُلِّ فِتَاةٍ تَوْثُّنٌ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ فِي نَفْسِهَا، وَأَنْ تَحْذَرَ أَشَدَّ الْحَزْنَ مِنْ هَؤُلَاءِ الذَّنَابِ الَّذِي لَا يَرْقُبُونَ فِيهَا إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ، جَدِيرُ بِكُمْ أَنْ تَحْذَرُوا أَخَوَاتِكُمْ وَنِسَائِكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الذَّنَابِ، الذَّنَابِ الَّذِينَ يَتَلَطَّفُونَ فِي الْحَدِيثِ فِي الْهَوَاتِفِ، كَانَهُمُ الْحَمَلَانُ، يَتَلَطَّفُونَ فِي الْحَدِيثِ مَعَ النِّسَاءِ فِي الْهَوَاتِفِ إِلَى أَنْ يَوْقِعُوا النِّسَاءَ فِي الْحَبَائِلِ وَالْأَشْرَاقِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَرْقُبُونَ فِي الْفِتَاةِ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ.

نَسَالُ اللَّهَ أَنْ يَاقِيَ أَعْرَاضًا مِنْ كُلِّ سَوْءٍ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَمَ.

التربية على العفة والاستعفاف

د. أحمد فريد

اعداد/

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة

ولا أن ما يخفى عليه يغيب
راود رجل أعرابية في ليلة شديدة الظلمة، وقال
لها: «والله، ما يرانا إلا الكواكب، فقالت: فأين
مكوكبها؟»
والتقوى: هي علم القلب بقرب الله سبحانه.

٢- إحياء الآداب الإسلامية:

كآداب النظر والخلطة والاستئذان: فإذا أهمل
العبد هذه الآداب الإسلامية دخل عليه الشر، فمن
أطلق لحظاته دامت حسراته.

قال بعضهم:

كل الحوادث مبدؤها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها
فعل السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء مادام ذا عين يقلبها
في أعين الناس موقوف على خطر
يسر مقلته ما ضر مهجته

لا مرحباً بسرور عاد بالضرر
وكذا البعد عن أماكن الاختلاط والفجور، والتبرج
والسفور، ومخالطة أصحاب الشهوات، والمعرضين
عن طاعة رب الأرض والسموات؛ فإن في خلطة
هؤلاء ترغيباً في الدنيا الدنية والشهوات الدنيوية،
أما مخالطة أهل الزهد والورع والرغبة في الآخرة،
فإنها ترغّب في ما عند الله من نعيم وترهّد في زينة
الدنيا الفانية.

وكذا مراعاة آداب الاستئذان؛ فلا يهجم على أحد
بغير استئذان، ولا يقف أمام الباب عند الاستئذان؛

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله
وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن مما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم الذي
يهدف إلى إقامة المجتمع المسلم، وإعادة الخلافة
على منهاج النبوة، التربية على العفة والاستعفاف،
وسبق في العدد الماضي الحديث عن هذا الموضوع
ونكمل في هذا العدد فنقول وبالله تعالى التوفيق:
الطريق إلى العفة:

فمن أراد الوصول إلى هدف سام ينبغي له أن يسلك
الطريق الموصلة إليه، وأن يأخذ بأسباب تحصيله،
فما هي الأسباب الموصلة إلى العفة؟
وبمعنى آخر: كيف يكون الاستعفاف؟ الذي هو
طلب العفة.

وهذه جملة أسباب بحسب الاجتهاد لا الحصر:

١- تقوية الإيمان:

فإذا ضعف إيمان العبد صار لا يتورع عن المعاصي
والشبهات، ويتكاسل عن الطاعات الواجبات؛
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: « لا يزني
الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق
وهو مؤمن... » [رواه البخاري: (٦٨٠٦)، ومسلم
(١٠٣١)].

فإذا كانت شجرة الإيمان ضعيفة في قلب العبد؛
فإنها لا تثبت إذا أنتها عواصف الشهوات أو
الشبهات؛ فمن أراد الثبات على الإيمان والبعد عن
معصية الملك الديان فعليه بتقوية شجرة الإيمان،
وإحياء وازع التقوى، واستشعار مراقبة الله عز
وجل له، قال تعالى: **﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** (الحديد: ٤).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في بيان درجة
الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه،
فهو يراك» [رواه البخاري (٥)، (٤٧٧٧)، ومسلم (٨)،
(٩)].

ومهما استشعر القلب حلاوة الإيمان والمراقبة فإنه
يستحي من مخالفة أمره، وارتكاب نهيه:

ما يثير فتنة، ولا يظهر شيئاً من حسن أو جمال، وجعل لباس المرأة لا يصف الجسم، ولا يشف عنه. قال عليه الصلاة والسلام: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مُميلات مائلات رعوسهن كاسنمة البُخت المائلة؛ لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» والحديث رواه مسلم (٢١٢٨). [تربية المراهق] (ص: ١٠٩).

وقال النووي: «هذا الحديث من معجزات النبوة؛ فقد وقع هذان الصنفان وهما موجودان، وفيه ذم هذين الصنفين». قيل: معناه كاسيات من نعمة الله، عاريات من شكرها، وقيل: تستر بدنهن وتكشف بعضهن إظهاراً بحالهن ونحوه، وقيل: معناه تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنهن، أما مائلات فقيل معناه عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه، مميلات أي يعلمن غيرهن فعلهن المذموم» شرح النووي على صحيح مسلم (٩٥٦/١٤).

٤- التكبر بالزواج:

عملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» [رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠)].

فإذا بلغت الفتاة سن الزواج، وتقدم لها من هو كفء لها؛ فعلى وليها أن يبادر بتزويجها، وكذا الشاب إذا كان عنده مؤن الزواج أو يملك والده أن يزوجه، فعليه أن يبادر إلى تزويجه؛ فإن الزواج أغض للبصر، وأحصن للفرج، وإن لم يفعلوا ذلك تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

يقول الدكتور بدير محمد بدير: «حثت السنة المطهرة على المسارعة بتزويج الشباب؛ فالزواج سبب من أسباب الاستقرار النفسي والإشباع الغريزي الفطري عن طريق نظيف مشروع، وذلك حتى يسلم الشباب من الانحلال الخلقي، وشيوع الفاحشة، والاتصال الحرام، وتفشّي الأمراض الفتاكة بين الشباب، تلك الأمراض التي تقضي على النسل، وتوهي القوة، وتنشر الوباء، وتكون سبب العداوة والبغضاء» [منهج السنة النبوية في تربية الإنسان] (ص: ١١٩).

ويقول الدكتور عبد العزيز بن محمد النعيمشي ما ملخصه: «وهكذا نجد أن الإشباع الغريزي حاجة

حتى لا تقع عينه على عورة غافلة، وقد قدمنا في باب التربية على الآداب النبوية والسنن المصطفوية هذه الآداب بشيء من الإسهاب، فلا نطيل بذكرها، والله الهادي.

٣- البعد عن المثيرات الجنسية:

قال الدكتور عبدالله ناصح علوان: «من المسئوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على المربي أن يجنب ولده ما يثيره جنسياً ويُفسده خلقياً، وذلك حينما يبلغ الولد سن المراهقة، وهو السن الذي يتراوح ما بين العاشرة إلى البلوغ.

ولقد أجمع علماء التربية والأخلاق على أن مرحلة المراهقة هي من أخطر المراحل في حياة الإنسان، فإذا عرف المربي كيف يُربي الولد، وكيف ينتشله من أحوال الفساد وبيئات الانحلال، وكيف يوجهه التوجيه الأمثل: فعلى الأغلب أن الولد ينشأ على الخلق الفاضل، والأدب الرفيع، والتربية الإسلامية السامية». [تربية الأولاد في الإسلام (٢/ ٥٢٣)].

- فمن المثيرات الجنسية التي ينبغي أن يتجنبها الشباب: أماكن التبرج والتهتك والفسفور، كالأسواق، والشواطئ، وأماكن اللهو والمتنزهات.

- ومن المثيرات الجنسية: الصور الفاضحة التي تمتلئ بها الجرائد والمجلات التي يقوم عليها تجار الشهوات، والذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

- ومن ذلك المسلسلات الهابطة والأفلام الساقطة التي تعرض على شاشة التلفاز والفيديو وأجهزة استقبال البث المباشر التي تنقل إلى بيوت المسلمين الحياة الغربية العفنة التي مات فيها الحياء، وذهبت الغيرة، وضاعت الأخلاق، واختفت معاني الشرف والمروءة، وصار الناس أضل من البهائم: يَنَمَتَعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ).

فإذا ألف الناس رؤية المتبرجات والمتهتكات، ورؤية الاختلاط الماجن بين الرجال والنساء؛ فإنهم لا يستقبحون القبيح، ولا ينكرون المنكر، فينبغي أن يصون المسلم سمعه وبصره وجوارحه من كل ما يثيره؛ حتى يحيا حياة عفيفة طاهرة مطمئنة نظيفة.

ومن أجل منع الإثارة الجنسية: أوجب الإسلام على المرأة إذا بلغت سن الرشد الإلتزام بالحجاب عند خروجها، وجعل للعودة حدوداً فلا يكشف من المرأة

٦- **ومما يعين على العفة: التسامي والاستعفاف:**
عملاً بقول الله عز وجل: **(وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُفْضِلَ اللَّهُ لَهُمْ)** (النور: ٣٣).

وبقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ومن لم يستطع فعله بالصوم فإنه وجاء» [رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠)].

والمقصود بالتسامي والاستعفاف: هو أن يجتهد المسلم بكل طاقته في العبادة والطاعة والدعوة إلى الله عز وجل، وأن يكثُر من الصيام الذي يكسر الشهوة، وتذل به النفس، فيقوى عليها المؤمن ويطوعها لله عز وجل، والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل والمعاصي، وقد وعد الله من سلك طريق العفة والاستعفاف بتيسير أمر الزواج الذي يشبع فيه العبد نفسه بما شرعه الله عز وجل وأحله، فقال تعالى: **(وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُفْضِلَ اللَّهُ لَهُمْ)**.

قال الدكتور عبدالله ناصح علوان ما مخلصه:

فالتسامي هو أن تنفّس عن نفسك بجهد روحي، أو عقلي، أو قلبي، أو جسدي، يستنفذ هذه القوة المدخرة، ويخرج هذه الطاقة المحبوسة بالالتجاء إلى الله، والاستغراق في العبادة، أو بالانقطاع إلى العمل، والانغماس في البحث، أو بالجهد الجسدي والإقبال على الرياضة، والعناية بالتربية الدينية، أو البطولة الرياضية. [تربية الأولاد في الإسلام (٥٩٣/١)].

٧- **ومما يعين على العفة: معرفة بعض المواقف الإيمانية في العفة والاستعفاف:**

كموقف نبي الله يوسف عليه السلام وعفته عن امرأة العزيز، وهي التي راودته عن نفسه، وهو في بيئتها، وغلفت الأبواب، وقالت: هيت لك. فاعتصم بالإيمان ولجأ إلى الله الرحمن وقال: **(مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ)** (يوسف: ٢٣).

ومن ذلك قصة مرثد بن أبي مرثد الصحابي رضي الله عنه، عندما دعتة عناق للزنا فأبى وقال يا عناق إن رسول الله قد حرم الزنا. وانظره مفصلاً عند أبي داود (٢٠٥١).

وغير ذلك من المواقف الإيمانية الشريفة، وقد ذكرنا جملة من ذلك في كتاب «مواقف إيمانية»، فلا نطيل بإعادة ذكرها، والله المستعان.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

ملحة في مرحلة المراهقة، وأن النضج المبكر يقتضي الإشباع المبكر، ويكون ذلك بالزواج المبكر، والزواج المبكر هو الأصل والطريق الطبيعي الفطري لتلبية الحاجة الغريزية، والشوق والميل إلى الجنس الآخر؛ بسبب هذه الحاجة الملحة، والأسباب الأخرى أمر يقَعده المنهج الإسلامي ويؤصله، وبين الأسلوب الناجح في إشباعه وتوجيهه، وقد سبقت الإشارة إلى أن المنهج الإسلامي منهج فطري واقعي في كل مطالبه وتشريعاته. [المراهقون.. دراسة نفسية إسلامية للأباء والمعلمين والدعاة (ص: ٨٧ - ٨٨)، دار طيبة].

٥- اختيار الصحبة السالحة:

التي ترشد إلى الخير وتعين عليه، وتحذر من الشر وتمنع منه؛ فمن أراد سلامة دينه ودنياه، وصيانة نفسه وعفتها وكرامتها؛ فعليه بالانضمام إلى رفقة سالحة تؤنس في غربته، وتعينه على طاعته، فليس شيء أنفع للعبد من مجالسة الصالحين والنظر إلى أفعالهم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما مثل الجليس الصالح، والجليس السوء؛ كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة».

فمن وقَّف للصحبة السالحة أخذت بيده إلى طريق العفة والنجاة والسعادة في الدنيا والآخرة. ومن سقط في رفقة فاسدة أضاعت عليه دنياه وآخرته، ولم ينل منهما إلا الصفقة الخاسرة والتجارة البائرة.

يقول الأستاذ محمد حامد الناصر:

«ولعظم الأثر الذي تحدثه الرفقة، ووضوح هذا التأثير في شخصية الصديق وسماته صار المربون والمجربون يعرفون المرء من رفقاته وجلسائه، ويقومونه بمعرفتهم لأصدقائه وقرنائهم، وقد جاء في الأثر: «وإياك وقرين السوء؛ فإنه به تعرّف». ونادى الحكماء باستخدام هذا المقياس الدقيق للتعرف على شخصية الإنسان وسمائله، حتى قال بعضهم:

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدي

[تربية المراهق في رحاب الإسلام (ص: ٢٤٨) ط. دار رمادي للنشر ودار ابن حزم].

الحمد لله والصلاة على رسول الله، وبعد...

فقد ذكرنا في الحلقة الماضية موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه لما نادى فيهم يوم انصرف عن الأحزاب أن لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة، فتخوف ناس فوَّت الوقت فوصلوا دون بني قريظة وقيل أن يبلغوها، وقال آخرون: لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن فاتنا الوقت، فما عَنفَ صلى الله عليه وسلم وأحدًا من الفريقين.

ومن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم بإزاء الفريقين من قبول اجتهديهما دون أن يفصح عن قصده لهم، ظهر العدل والإنصاف والوسطية والرحمة بالمجتهدين، وليكون فعله قدوة لاتباعه أن يكونوا أهل رفق بالمخالفين، حتى لا يفرح كل حزب بما لديه، ويتعصب كل فريق للذي هو عليه، محاولاً حمل خصمه على ما يراه، وإخضاعه بين يديه. فما أحمل الإسلام وما أعظم وسطية هذا الدين !!

وذكرنا أمثلة أخرى لبيان وسطية هذا الدين الحنيف، وانتهينا عند بيان وسطية الإسلام في أداء العبادات، وأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الغلو والزيادة والتشدد في الدين، وبين أنه طريق هلاك، هلكت به الأمم السابقة، وتكمل في هذه الحلقة قائلين بعون الله تعالى:

الدين يغلب من تشدد فيه:

بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحدًا لن يغلب الدين بالتشدد أو بالتفريط فيه، بل إن الدين هو الذي يغلب كل مخالف فيه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرُ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدُّوا، وَقَارِبُوا، وَأَنْبَشِرُوا، وَأَسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ» [صحيح البخاري ١٦/١].

والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب.

وقوله: «فَسَدُّوا» أي: الزموا السداد، وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط، والسداد: التوسط في العمل. وقوله: «وَقَارِبُوا» أي: إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه. وقوله: «وَأَنْبَشِرُوا» أي: بالثواب على العمل الدائم وإن قل. وقوله: «وَأَسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ» أي: استعينوا على مداومة العبادة بفعلها في الأوقات المنشطة، وهي أول النهار؛ ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس. وَالرَّوْحَةُ بالفتحة: السير



الإسلام

دين وسط

(٢)

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ

جمال عبد الرحمن

إعداد

بعد الزوال. والدَّلْجَةُ: السَّيْرُ آخر الليل، وقيل: سير الليل. والحديث نص في أن الدين يسر، وأن الدين قصد وأخذ بالأمر الوسط. [تعليق مصطفى البغا على صحيح البخاري ١٦ / ١].

٥ - وسطية الإسلام في المعاملات:

أ. العدل بين ضعاف الرعية وأقويائها:

لما ولي أبو بكر رضي الله عنه الخلافة حمد الله تعالى وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال: «أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف [عندي] حتى أخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يزحمكم الله، وهذا إسناد صحيح. [البداية والنهاية ٦ / ٣٣٣].

وفي هذا الأثر تظهر وسطية الإسلام وعدله بين صغير أفراده وكبيرهم، وإنصافه لضعيفهم من قويهم، لأنهم إن لم يكونوا كذلك فلا قداسة لهم عند الله ولا تكريم. عن جابر مرفوعاً: «كيف يُقدَّسُ الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديد». [ابن ماجه: ٤٠١٠، وقال الألباني: صحيح].

ب- ومثل ذلك أيضاً العدل بين الأولاد والزوجات

عن النعمان بن بشير، قال: تصدق علي أبي ببغض ماله، فقالت أُمِّي عَمْرَةَ بنت رَوَاحَةَ: لا أرضي حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق أبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليشهد علي صدقتي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفعلت هذا بولدك كله؟» قال: لا، قال: «اتقوا الله، وأعدلوا في أولادكم»، فرجع أبي، فردت تلك الصدقة. [صحيح مسلم ٣ / ١٢٤٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا كان عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط». أي ذاهب أو أشل. [سنن الترمذي ٣ / ٤٣٩]. صحيح.

ج. العدل بين الناس ولو كانوا أعداء:

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا) [المائدة: ٨]، يعني لا يحملنكم بغضهم على

عدم العدل، اعدلوا ولو كنتم تبغضونهم.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه عز وجل يقول: «أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرَّضَا، وَالْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى». [مسند أحمد ٣٠ / ٢٦٥] حديث صحيح.

ولهذا لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى أهل خيبر ليخرص (ليقدر) عليهم ثمر النخل، وكان اليهود يزرعون الأرض للمسلمين على النصف، فحدث أن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه قسم لهم نصيبهم وخيرهم أن يأخذوه أو يأخذوا النصف الآخر، فعرفوا أن هذا هو العدل بعينه؛ فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض؛ أي بالعدل.

قال ابن حبان: «وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام يخرصها عليهم، ثم يضمنهم الشطر، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة خرصه، وأرادوا أن يرشوه فقال عبد الله: يا أعداء الله! أتعلموني السُّخْت؟، والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي، ولأنتم أبغض إلي من عدتكم من القرظة والخنازير، ولا يَحْمِلُنِي بَغْضِي إِيَّاكُمْ وَحُبِّي إِيَّاهُ عَلَىٰ أَنْ لَا أَعْدِلَ عَلَيْكُمْ، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض. [صحيح ابن حبان - ١١ / ٦٠٨] وإسناده صحيح.

فانظر أخي إلى أثر العدل والوسطية في استخراج شهادة أعداء الملة لأهلها، وثنائهم على هذا الدين وأهله. يا ليت قومنا في أزماننا يمتثلون هذه المعاني.

د- احترام العهود ولو كانت مع المشركين، ولو اضطر المسلم لهذا العهد:

الإسلام دين نقي نظيف، طاهر عفيف، لا يعرف أن يجور أو يحيف، ولا يقبل المراوغة والتزييف. ولا يرضى لأوليائه أن يظهروا بمظهر غير لائق، يصد الناس عن دعوة الحق وتضع الحقائق.

-ومن نماذج العدل والإنصاف التي تظهر وسطية الإسلام: ما

جاء في هذا الخبر:

حَدَّثَنَا حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بِرَأِ إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَآبِي حُسَيْلٌ، قَالَ: فَأَخَذْنَا كِفَارَ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تَرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا نَقَاتِلَ مَعَهُ، فَاتَّخَذْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَنَا الْخَبْرَ، فَقَالَ: «انصرفا، فني لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم». [صحيح مسلم ٣ / ١٤١٤].

فقيل له: هل لك أن تُسلم وتأخذ هذه الأموال التي معك؟ فقال: بئس ما أبدا به إسلامي أن أخون أمانتي. وكفلت عنه امرأته أن يرجع فيؤدي إلى كل ذي حق حقه؛ فيرجع ويُسلم، ففعل، وما فرّق بينهما، يعني النبي - صلى الله عليه وسلم. [تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٢٠٥]

فانظر أيها المسلم إلى هذا السلوك الحميد؛ حيث لم يتجاهل أبو العاص مشاعر قومه وإن كانوا على الشرك، بحيث لا يفزعون على أموالهم حال معرفتهم بإسلامه، أو يتركهم يسيئون به الظن، ولا ينبغي للمسلم أن يجعل من نفسه غرضاً ليسيء الناس به الظن. وكل ذلك من سماحة هذا الدين ووسطيته واعتداله ويُسرّه. ثم إن أبا العاص رضي الله عنه لم يشأ أن يبدأ إسلامه بشيء يشينه في نظر غير المسلمين.

٦. الوسطية في الاعتقادات:

ودين الله وسط بين من يتشدد كالخوارج فيكفر من وقع من المسلمين في المعصية، وبين المرجئة المتساهلين الذين يرجئون ويؤخرون العمل عن النية، بمعنى إذا كانت نيتك سليمة فلا يضرك ما فعلت أو ما تركت، وهم الذين يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي: والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة، فإنهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، لكن قالت الخوارج: نسميه كافراً، وقالت المعتزلة: نسميه فاسقاً، فالخلاف بينهم لفظي فقط. وأهل السنة متفقون أيضاً على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب، كما وردت به النصوص، لا كما يقول المرجئة من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا ينفع مع الكفر طاعة؛ وإذا اجتمعت نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئة، ونصوص الوعيد التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة، تبين لك فساد القولين؛ ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى.

[شرح الطحاوية - لأبي العز الحنفي، تعليق وتخرّيج الشيخ الألباني. ص: ٣٢٢]

وكذلك دين الله تعالى وسط بين المعطلة الذين عطلوا ونفوا صفات الله تعالى كالسميع والبصير وأنه سبحانه يفرح ويسخط ويقبض ويبسط، وأن له يداً وعيناً؛ زاعمين أنهم لو اثبتوها لله تعالى شبهوه بخلقه، وهؤلاء هم الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم،

قال النووي رحمه الله تعالى: أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يشيع عن أصحابه نقض العهد، وإن كان لا يلزمهم ذلك، لأن المشيع عليهم لا يذكر تأويله. [شرح النووي على مسلم ١٢/ ١٤٤]

صحيح أن الذي يشيع عنهم، ويشنع عليهم لن يتلمس لهم عذراً، ولن يعرف لهم قدراً، ولن يبغى لهم أجراً. وعند أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لحذيفة وأبيه: (قوا لهم؛ أمر لحذيفة وأبيه بالوفاء للمشركين بما عاهدوهما عليه حين أخذوهما، أن لا يقتلوهما، فقبل عذرهما وأمرهما بالوفاء. (ونستعين الله عليهم) أي على قتالهم فإنما أنصر من عند الله لا بكثرة عدد ولا عدد، وقد أغناه الله تعالى، وكانت واقعة أعز الله بها الإسلام وأهله. (رواه أحمد، عن حذيفة بن اليمان). [التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ١٧٤]

ومن النماذج العالية في أداء الأمانات:

هـ - موقف أبي العاص بن الربيع زوج زينب بنت المصطفى صلى الله عليه وسلم:

- عن ابن إسحاق رحمه الله تعالى قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال: خرج أبو العاص (زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) تاجراً إلى الشام، وكان رجلاً ماموناً، فكانت معه بضائع لقريش، فاقبل فلقبته سرية للنبي صلى الله عليه وسلم، فاستاقوا عيره وهرب، وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أصابوا فقسمه بينهم، وأتى أبو العاص حتى دخل على زينب فاستجار بها، وسألها أن تطلب له من رسول الله صلى الله عليه وسلم رد ماله عليه، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم السرية فقال لهم: «إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم (يعني أنه زوج ابنته زينب)، وقد أصبحت له مالا ولغيره ممن كان معه، وهو فيء، فإن رأيتم أن تردوا عليه فافعلوا، وإن كرهتم فانتقم وحقكم». قالوا: بل نرده عليه. فردوا والله عليه ما أصابوا، ثم خرج أبو العاص حتى قدم مكة، فادى إلى الناس بضائعهم، حتى إذا فرغ قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم معي مال؟ قالوا: لا؛ فجزاك الله خيراً. فقال: أما والله ما منعتني أن أسلم بالمدينة قبل أن أقدم عليكم إلا تخوفاً أن تظنوا أنني إنما أسلمت لأنهب بأموالكم، فأني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

وعن الشعبي، قال: قدم أبو العاص من الشام ومعه أموال المشركين، وقد أسلمت امرأته زينب وهاجرت.

وبين المشبهة الذين مثلوا وشبهوا الله تعالى بخلقه في ذاته وصفاته وقالوا: إن الله جسم وهو موجود فهو محدود.

قال الذهبي: والمقصود بالسلف هم الصحابة والتابعون ومن سار على نهجهم. ولقد كان قولهم في الاستواء كقولهم في سائر صفات الله، فهم لا وسط بين طائفتين هم المعطلة والمشبهة. فهم لا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، ولا ذاته بذوات خلقه كما يفعل المشبهة. وكذلك لا ينفون عن الله ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، فيعطلون أسماءه وصفاته، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويلحدون في أسمائه وآياته كما فعل المعطلة. بل كان مذهبهم في سائر الصفات - بما في ذلك الاستواء- أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم نفياً وإثباتاً. وطريقتهم في الإثبات أنهم يثبتون ما أثبتته الله من الصفات من غير تكيف لها، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تعطيل. وطريقتهم في النفي أنهم ينفون عن الله ما نفاه عن نفسه مع إثبات كمال ضد ذلك المنفي. [العرش؛ لشمس الدين الذهبي ١/ ١٨٧].

وقال شيخ الإسلام أيضاً: ولو اعتصموا بالكتاب والسنة لاتفقوا كما اتفق أهل السنة والحديث، فإن أئمة السنة والحديث لم يختلفوا في شيء من أصول دينهم، ولهذا لم يقل أحد منهم: إن الله جسم ولا قال: إن الله ليس بجسم. بل أنكروا النفي لما ابتدئته الجهمية من المعتزلة وغيرهم، وأنكروا ما نفته الجهمية من الصفات مع إنكارهم على من شبه صفاته بصفات خلقه، مع أن إنكارهم كان على الجهمية المعطلة أعظم منه على المشبهة؛ لأن مرض التعطيل أعظم من مرض التشبيه. [درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٣٦٧].

٧. التوسعة في النصيحة والموعظة

وحتى في الموعظة والنصيحة ينبغي التوسط حتى لا يسأم الناس ويملوا؛ كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «حَدَّثَ النَّاسُ كُلَّ جُمُعَةٍ (كُلَّ أُسْبُوعٍ) مَرَّةً، فَإِنِ ابْتِيتَ فَمَرَّتَيْنِ، فَإِنِ اكْتَرَهْتَ فَثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلَا تَمَلُ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَلَا الْفَيْنِكَ تَأْتِي الْقَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ، فَتَقْصُصْ عَلَيْهِمْ، فَتَقْطَعْ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فَتَمْلَهُمْ، وَلَكِنْ أَنْصِتْ، فَإِذَا أَمْرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَسْتَهْوُونَ، وَأَنْظِرِ السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْ»، فَإِنِّي عَهَدْتُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ يَغْنِي

لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الْاجْتِنَابَ. [صحيح البخاري ٨/ ٧٤].

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا (يُخَفِّفُ) بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا. يعني حتى لا يصيبنا الملل. [صحيح البخاري ١/ ٢٥].
وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَجْمُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ وَأَطْلِبُوا لَهَا طَرَفَ الْحِكْمَةِ فَإِنَّهَا تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ.

[المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها للخرائطي ص: ١٥١].

٨. الوصية في الانتماءات ثلثا تتولد عداوات

وذم الإسلام التحزب الذي يعتني بالحرزية وأفرادها وأعضائها، فقال الله تعالى: «مَنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا بَيْنَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعاً كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ». (الروم/ ٣٢).

وَعَنْ جَبْرِ بْنِ مُطْعَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً». [صحيح مسلم ٤/ ١٩٦١].

والمعنى: (لا حلف) لا تعاهد على مثل ما كانوا يتعاهدون عليه في الجاهلية مما يتعارض مع الإسلام.

وأما المؤاخاة في الإسلام والمخالفة على طاعة الله تعالى والتناصر في الدين والتعاون على البر والتقوى وإقامة الحق فهذا باق لم ينسخ، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم في هذه الأحاديث: «وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة». [شرح النووي على صحيح مسلم ٤/ ١٩٦١]. ولما ظهرت العصبية من وراء التحزب والانتماءات غضب النبي صلى الله عليه وسلم ووصفها بالجيفة المنتنة.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا فِي غِرَاةٍ، فَكَسَعَ (ضَرَبَ) رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَأَنْصَارِي، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ». [صحيح البخاري ٦/ ١٥٤].

فما أنظف هذا الدين وأنقاه وأطهره؛ وكذلك رجاله، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

والحديث بقية إن شاء الله.

قصة خلق العقل



الحلقة
(١٦٤)

علي حشيش

اعداد

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثة حتى يقف القارئ الكريم على حقيقة هذه القصة التي انتشرت على السنة القصاص الذين يقدمون العقل على النقل، وسلخوا سبيل المعتزلة الذين وضعوا هذه القصة الواهية وغيرها؛ ليؤيدوا بها هذه الفرية، ويهدموا الصحيح الثابت من السنة المطهرة باصطلاحات أجنبية دخلت أثناء الفتوحات الإسلامية بواسطة الكتب اليونانية، فدخلت الفلسفة في العقيدة ووجدت تشجيعاً رسمياً ودعماً قوياً من الخلفاء المعاصرين وفي مقدمتهم المأمون العباسي وموقفه من إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله معروف.

قال له: أَقْبِلْ فَأَقْبِلْ، ثم قال له: اقعد فقعد، فقال له: ما خلقت خلقاً هو خير منك، ولا أكرم منك، بك أأخذ، وبك أعطي، وبك أعرف، وإياك أعاقب، لك الثواب، وعليك العقاب». اهـ.

ثانياً: التخرج:

١- أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٣/٦) (٥٥٩/١) قال: حدثنا عبد الرحمن بن القاسم القرشي الدمشقي، حدثنا يحيى بن صالح الوحاظي، حدثنا حفص بن عمر، حدثنا الفضل بن عيسى الرقاشي، عن أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لما خلق الله تعالى العقل...» الحديث.

٢- وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٧٤/١) قال: أنبأنا محمد بن عبد الملك، قال: أنبأنا إسماعيل بن مسعدة، قال: أنبأنا أبو طالب العشاري قال: أنبأنا أبو حفص بن شاهين، قال: أنبأنا حمزة بن يوسف، قال: أنبأنا أبو أحمد بن عدي قال: أخبرنا عبد الرحمن بن القاسم به.

قلت: أي: من طريق ابن عدي نفسه.

ثالثاً: التحقيق

١- هذا الحديث أورده الحافظ الذهبي في «الميزان» (٦٧٤٠/٣٥٦/٣) من طريق ابن عدي

ولقد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٢١/٤) حيث قال: «وفي دولة أبي العباس المأمون «ظهر» الخيرية» ونحوهم من المنافقين، وعرب من كتب الأوائل المجلوبة من بلاد الروم ما انتشر بسببه مقالات الصابئين، ورأسل ملوك المشركين من الهند ونحوهم حتى صار بينه وبينهم مودة. فلما ظهر ما ظهر من الكفر والنفاق في المسلمين وقوي ما قوي من حال المشركين وأهل الكتاب؛ كان من أثر ذلك: ما ظهر من استيلاء الجهمية؛ والرافضة؛ وغيرهم من أهل الضلال وتقريب الصابئة ونحوهم من المتفلسفة. وذلك بنوع رأي يحسبه صاحبه عقلاً وعدلاً وإنما هو جهل وظلم إذ النسوية بين المؤمن والمنافق؛ والمسلم والكافر أعظم الظلم وطلب الهدى عند أهل الضلال أعظم الجهل فتولد من ذلك مخنة الجهمية حتى امتحن الأمة بنفي الصفات والتكذيب بكلام الله ورؤيته وجرى من مخنة الإمام أحمد وغيره ما جرى مما يطول وصفه.

أولاً: المتن:

رؤي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لما خلق الله تعالى العقل قال له: قُمْ فقام، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم

أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فَوَقَّعْنَا لَنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ، دَاخِلًا فِي الْمَسْجِدِ، فَاسْتَفْتَاهُ أَنَا وَصَاحِبِي، أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناسٌ يقرءون القرآن ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني بريء منهم وأنهم برءاء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر». اهـ.

٤- قلت: وبهذا يتبين حقيقة قول الإمام ابن معين في الفضل الرقاشي صاحب هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية، وأنه كان قاصاً رجل سوء، وعندما سُئِلَ عن حديثه قال: «لا تسأل عن القدري الخبيث». اهـ.

٥- وقال أبو سلمة التبوذكي: «لِمَ يَكُنْ أَحَدٌ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي الْقَدْرِ أَخْبَثُ قَوْلًا مِنَ الْفَضْلِ الرَّقَاشِيِّ». كَذَا فِي «الْمِيزَانِ» (٣/٣٥٦).

٦- قال ابن عدي في «الكامل» (٦/١٣): «سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: فضل بن عيسى أبو عيسى الرقاشي خال المعتمر، قال عبد الله بن محمد عن ابن عيينة قال: كان يرى القدر، وليس أهلاً أن يُرَوَى عنه». اهـ.

ملاحظة مهمة:

نلاحظ أن أئمة الجرح والتعديل مثل الإمام يحيى بن معين والإمام ابن عيينة، والحافظ أبو سلمة التبوذكي عند التحذير من الرواية

الذي أوردناه آنفاً وجعله من مناكير الفضل بن عيسى الرقاشي، ثم ذكر عن أحمد بن زهير أنه قال: «سألت ابن معين عن الفضل الرقاشي فقال: كان قاصاً رجل سوء، قلت: فحديثه؟ قال: لا تسأل عن القدري الخبيث». اهـ.

٢- قلت: وهذا ربط بين الإسناد والاعتقاد، فقولُه: «القدري الخبيث»: القدرية هم أتباع معبد الجهني لأنه أول من تكلم بالقدر، وحقيقة مذهبهم أنهم يقولون: إن أفعال العباد وطاعتهم ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله وقدره، فأثبتوا قدرة الله على أعيان المخلوقين وأوصافهم، ونفوا قدرته على أفعال المكلفين، وقالوا: إن الله لم يردّها ولم يشأها

منهم وهم الذين أرادوها وشاءوها وفعلوها استقلالاً، وأنكروا أن يُضِلَّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، فَأَثْبَتُوا خَالِقًا مَعَ اللَّهِ، وَهَذِهِ الْقَدْرِيَّةُ مَذْهَبُ بَاطِلٍ.

أما أهل السنة والجماعة فاثبتوا أن العباد فاعلون حقيقة، وأن أفعالهم تنسب إليهم على جهة الحقيقة لا على جهة المجاز، وأن الله خالقهم وخالق أفعالهم،

قال الله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ» [الصافات: ٩٦].

واثبتوا للعبد مشيئة واختياراً تابعين لمشيئة الله، قال الله تعالى: «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ» (١٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ». اهـ.

ذكره الشيخ عبد العزيز السلمان في «الأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية» السؤال (١٥٤).

٣- قلت: وهذا ثابت في أول حديث في صحيح مسلم عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحמיד بن عبد الرحمن الحميري حاجين



«المجروحين» (٢٥٩/١) قال: «حفص بن عمر قاضي حلب، شيخ يروي عن الثقات الأشياء الموضوعات، لا يحل الاحتجاج به». اهـ. ضعفه أبو حاتم، وقال أبو زرعة: «منكر الحديث» كذا في «الميزان» (٥٦٣/١).

قلت: فهذه العلة تزيد الحديث وهناً على وهن. **خامساً: طريق آخر للقصة**

أخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١١٦٩/١٧٥/٣) قال: حدثنا أحمد بن داود القوسي، قال: حدثنا أبو همام يعني الوليد بن شجاع، قال: حدثني سعيد بن الفضل القرشي، قال: حدثنا عمر بن أبي صالح العتكي عن أبي غالب، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما خلق الله العقل...» الخبر.

سادساً: تحقيق خبر أبي أمامة

١- قال الحافظ العقيلي: عمر بن صالح العتكي عن أبي غالب حديثه منكر، وعمر هذا وسعيد بن الفضل الراوي عنه مجهولون، ولا يتابع أحد منهم على حديثه، ولا يثبت في هذا المتن شيئاً. اهـ.

٢- وقد أخرج هذا الخبر الذي جاءت به قصة خلق العقل الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٧٥/١) بسنده عن الحافظ العقيلي: «ولا يثبت في هذا المتن شيء». وأقره. ٣- قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٦١٤٦/٢٠٦/٣): «عمر بن أبي صالح، عن أبي غالب لا يُعرف، ثم إن الراوي عنه مشهور بالمنكرات، والخبر باطل في العقل وفضله». اهـ.

سادساً: قاعدة:

ختم الإمام ابن الجوزي أحاديث العقل في الموضوعات (١٧٧/١) قال: «وقد رُويت في

عنه يقرن بذلك بأنه قدرى خبيث؛ من أجل ذلك كان حتماً علينا أن نبين حقيقة مذهب القدرية أصحاب هذا المذهب الذين يقدمون الدليل العقلي على النقل.

٧- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١١٠/٢): «الفضل بن عيسى الرقاشي كنيته أبو عيسى، وهو ابن أخت يزيد الرقاشي، وكان خال المعتمر بن سليمان من أهل البصرة كان قدرياً داعية إلى القدر، وكان يقصّ بالبصرة ممن يروي المناكير عن المشاهير.

رابعاً: علة أخرى:

وأخرج الحافظ ابن عدي هذا الخبر الذي جاءت به قصة العقل مرة أخرى في «الكامل»

(٣٩٠/٢) (٥١٢/١٤٣) في

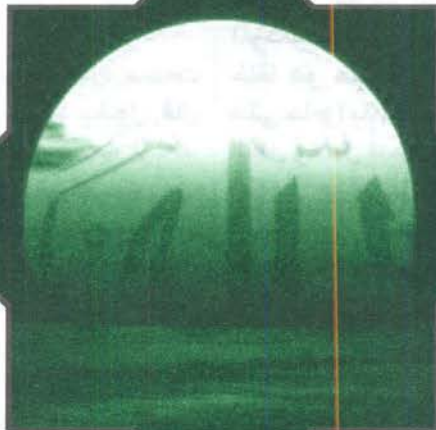
ترجمة حفص بن عمر يقال له قاضي حلب قال: حدثنا عبد الرحمن بن القاسم، حدثنا يحيى بن صالح الوحاظي، حدثنا حفص بن عمر حدثنا الفضل بن عيسى الرقاشي به.

قلت: فلا يتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحافظ ابن عدي يكرر الحديث، فكما أن الإمام البخاري يكرر

الأحاديث في صحيحه حيث يقطعها في الأبواب؛ بسبب استنباطه الأحكام منها، قال السيوطي في «التدريب» (٩٥/١) فلبخاري من الفضل ما ضمنه في أبوابه من التراجم التي حيرت الأفكار. اهـ.

قلت: كذلك تكرر ابن عدي لهذا الحديث لإظهار علة أخرى في الحديث في ترجمة حفص بن عمر مما يدل على أنه ذكر علة أخرى في الخبر الذي جاءت به هذه القصة وجعله من منكراته وختم ترجمته قائلاً: «ولحفص بن عمر أحاديث غير ما ذكرته، ولم أجد له أنكر مما ذكرته». اهـ.

لذلك ذكره الإمام الحافظ ابن حبان في



ثامناً: قاعدة أهل الحديث لبيان علاقة العقل بالنقل:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٢/٨٠، ٨١): «إِنَّ كُلَّ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فَإِنَّهُ مُوَافِقٌ لِصَرِيحِ الْمَعْقُولِ وَأَنَّ الْعَقْلَ الصَّرِيحَ لَا يَخَالَفُ النُّقْلَ الصَّحِيحَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَغْلُطُونَ إِمَّا فِي هَذَا وَإِمَّا فِي هَذَا فَمَنْ عَرَفَ قَوْلَ الرَّسُولِ وَمُرَادَهُ بِهِ كَانَ عَارِفًا بِالْأَدْلَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَيْسَ فِي الْمَعْقُولِ مَا يَخَالَفُ الْمَنْقُولَ». اهـ.

ثم قال رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٦/٢٥): «مَنْ قَالَ بِمُوجِبِ نِصْوَصِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ أَمَكْنَهُ أَنْ يُنَاطَرَ الْفَلَّاسِفَةُ مُنَاطَرَةً عَقْلِيَّةً يَقْطَعُهُمْ بِهَا وَيَتَبَيَّنُ لَهُ أَنَّ الْعَقْلَ الصَّرِيحَ مُطَابِقٌ لِلْسَّمْعِ الصَّحِيحِ». اهـ.

قلت: فلا تغربك القصص الواهية والأحاديث الموضوعة التي تفيد بأن الله سبحانه ما خلق خلقاً هو خير من العقل، وتأثروا بهذا الكذب حتى جاءوا بأكذب منه، فقال قائلهم: «إذا تعارض العقل والنقل قدم العقل وأول النقل». اهـ.

قلت: لا يتعارض العقل الصريح مع النقل الصحيح، إنما الذي يتعارض مع النقل الصحيح هو الهوى لقوله تعالى: (وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ) [المؤمنون: ٧١].

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

العقول أحاديث كثيرة ليس فيها شيء يثبت: منها شيء يرويه مروان بن سالم وإسحاق بن فروة، وأحمد بن بشير، ونصر بن طريف، وابن سمعان، وسليمان بن عيسى، وكلهم متروكون، وقد كان بعضهم يضع الحديث فيسرقه الآخر، ويغير إسناده، فلم نر التطويل بذكرها. اهـ.

سابعاً: تحقيق الإمام ابن القيم لغبر القصة وأحاديث العقل:

قال الإمام ابن القيم في المنار المنيف فصل ١٥: أحاديث العقل كلها كذب كقوله (لما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر....)، وحديث (لكل شيء معدن، ومعدن التقوى قلوب العاقلين)، وحديث (إن الرجل ليكون من أهل الصلاة والجهاد وما يُجْزَى إِلَّا عَلَى قَدْرِ عَقْلِهِ).

قال الخطيب: حدثنا الصوري قال: سمعت الحافظ عبد الغني بن سعيد يقول: قال الدارقطني: إن كتاب العقل وضعه أربعة: أولهم ميسرة بن عبد ربه، ثم سرقه منه داود بن المحبر، فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة، وسرقه عبد العزيز بن أبي رضاء، فركبه بأسانيد آخر ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزي فاتى بأسانيد آخر.

وقال أبو الفتح الأزدي لا يصح في العقل حديث، قاله أبو جعفر العقيلي وأبو حاتم بن حبان. والله أعلم.

عزاء واجب

●● تتقدم أسرة مجلة التوحيد بخالص العزاء في وفاة شقيقة الشيخ محمد صفوت نور الدين، رحمهما الله، ووالدة زوجة الدكتور/ جمال المراكبي، الرئيس السابق لجماعة أنصار السنة، فنسال الله أن يتغمد المتوفاة بواسع رحمته، وأن يلحقها بعباده الصالحين.

●● كما تتقدم أسرة مجلة التوحيد بخالص العزاء في وفاة الأستاذ حسن الجندي، قنصل مصر السابق في المملكة العربية السعودية، ووكيل جماعة أنصار السنة المحمدية، وكان رحمه الله من قدامى رجال أنصار السنة، نسأل الله أن يغفر له ويرحمه رحمة واسعة.

●● كما تتقدم أسرة مجلة التوحيد بخالص العزاء في وفاة الشيخ مصطفى متعب، عضو مجلس إدارة بلبيس، نسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز قرائن اللغة على حمل (يديه) تعالى على الحقيقة دون المجاز

أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
عدد/ الأستاذ بجامعة الأزهر

الحسية ولا تطلق على وجه الحقيقة على سواها، وإذا أطلقت على غيرها سواء أكان معلوماً أو مجهولاً، تكون قد استعملت في غير معناها، ولا تكون بحال من الأحوال مستعملة في ظواهرها وعلى حقيقتها، بل تكون مؤولة، بما يعني أن الألفاظ إذا لم تكن مشتركة فلا تستعمل في حقائقها مرتين، وإنما تقع الحقيقة في موضع استعمالها الأول، فإذا خرجت عنه كانت مجازاً وإن لم يصرح فيها باسم المجاز، كـ (اليد) مثلاً تستعمل حقيقة في العضو المعروف فإذا استعملت مرة أخرى في يد غير معروفة صارت مجازاً لخروجها عن موضع الحقيقة التي وضعت من أجلها.. وهذا غير صحيح بالمرة، إذ يعكر عليه:

١- «أن العرب - على حد ما جاء في مختصر الصواعق ص ٢٩٨، ٣١١ - لم تستعمل هذه الألفاظ مطلقة، بل لا تنطق بها إلا مقيدة كـ (رأس الإنسان) و(رأس الطائر) و(رأس الدابة) و(رأس الماء) و(رأس الأمر) و(رأس المال) و(رأس القوم)، فها هنا المضاف والمضاف إليه جميعاً حقيقة وهما موضوعان، ومن توهم أن الأصل في الرأس للإنسان وأنه نقل منه إلى هذه الأمور، فقد غلط أقبح غلط وقال ما لا علم له به بوجه من الوجوه.. وهذا حكم عام في جميع الألفاظ المضافة كاليد والعين وغيرهما، فـ (يد البعوضة) حقيقة و(يد الفيل) حقيقة، وليست مجازاً في أحد الموضعين حقيقة في الآخر، وليست (اليد) مشتركة بينهما اشتراكاً لفظياً، وكذلك (إرادة البعوض)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فقد أثارت قضية وقوع المجاز في أي التنزيل بصفة عامة، ووقوعه في صفات الله - تعالى - بصفة خاصة، لغطاً كثيراً طوال الحقب الماضية، حتى ما خلا مكان من دولة الإسلام على مدى العصور والأزمان، من الحديث عنها وإثارتها.. مع سهولة ووضوح وجه الصواب في هذه القضية التي حسبوها شائكة كلما أثرت، وأنه ينحصر في وجوده في القرآن عدا أي الصفات التي يجب إثباتها على النحو اللائق برب العزة دون تعطيل ولا تكيف ولا تشبيه ولا تجسيم، على الحقيقة وكما قضت به أدلة اللغة والعقل والنقل وانعقد عليه إجماع الأمة.. إلا أنها - وإلى يوم الناس هذا - لا تزال تستحوذ على فكر الكثير من البلاغيين، وينشغل بالحديث عنها العديد من الباحثين والمعنيين بتلقي العلوم الشرعية، وما تفتأ كذلك تثار بشكل أو بآخر، ويدور حولها ذات اللغظ ونفس الشغب الذي أحدثته من قبل.

إشكالية أهل الكلام في القول بالمجاز

في نصوص الصفات:

وإشكالية المجاز اللغوي - الذي يعني في اصطلاح البلاغيين: «الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي» كـ (الظلمات) و(النور) في قوله تعالى: (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور..) (إبراهيم/ ١)، حيث استعيرت الكلمتان للضلال والهدى - أقول: إن إشكالية المجاز اللغوي لدى المتكلمة، تكمن في: أن الألفاظ من نحو (اليد) التي تعني الجارحة، و(الاستواء) الذي يعني الاقتعاد، وهكذا.. وضعت - في تصورهم - لهذه المعاني

و(حياتها) و(قوتها) حقيقة، و(إرادة الملك) - من البشر - و(قوته) و(حياته)، حقيقة.. ومعلوم أن القدر المشترك في هذه الألفاظ بين (الأسد) و(الرجل الشجاع)، وبين (البليد) و(الحمار) أعظم من القدر المشترك الذي بين (البعوضة) و(الفيل) وبين (البعوضة) و(الملك)، وإذا كان اللفظ حقيقة في كل ما ذكر باعتبار القدر المشترك، فإذن يكون حقيقة باعتبار القدر المشترك فيما هو أظهر وأبين - يعني فيما بين الخالق والمخلوق - أولى.. ولاسيما إذا كان من المعهود بالغرائز والفطر، والمعروف بالنظر والاستدلال، والمعلوم بالبداهة والضرورة، أن (الوجه) و(اليدين) و(السمع) و(البصر) و(الكلام) و(الغضب) و(الرضا) و(الإرادة) وكل ما وصف الخالق به نفسه ووصفه به رسوله لا يماثل ما عليه المخلوق.

القرائن اللغوية على حمل يده تعالى على الحقيقة لا المجاز

فصفة اليد مثلاً.. يشير إلى إثباتها لله تعالى «أطراد لفظها في موارد الاستعمال وتنوع ذلك وتصريف استعماله الذي يمنع المجاز، ألا ترى إلى قوله تعالى: (خلقت بيدي..) (ص/ ٧٥)، وقوله: (وما قدره الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون..) (الزمر/ ٦٧)، وأيضاً لو كان لفظ اليد مجازاً في القدرة والنعمة، لما استعمل منه لفظ (يمين الرحمن)، و(كلتا يديه يمين) الوارد في حديث مسلم وغيره، إذ لا يقال في هذا: (يد النعمة والقدرة).. ذلك أن المستعمل في يد (النعمة أو القدرة) الشرط فيه: أن يقترن باللفظ ما يدل على ذلك ليحصل المراد، وأن يكون المضاف من جنس المضاف إليه، لاسيما فيما يتنوع فيه المضاف بتنوع المضاف إليه فيكون بحسبه، وأن يكون مجرداً عن الإضافة وعن التثنية وعن نسبة الفعل - أو ما يعمل عمله - إليه، فيقال: (فلان عندي يد) و(لولا يد له عندي)، ولا يكادون يقولون: (يده أو يدها عندي)، ولا (له عندي يد) ولا (يد فلان كذا) ولا (فعل هذا بيمينه).

وقد ذكرنا من قبل استنكار أبي الحسن الأشعري ذلك بشدة على المتأولة، وقوله في الإبانة ص ٩٩ ما نصه: «وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب، أن يقول القائل: (عملت كذا بيدي)، ويعني به النعمة، وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوماً في كلامها ومعقولا في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: (فعلت بيدي) ويعني: النعمة، بطل أن يكون معنى قوله تعالى: (خلقت بيدي..) (ص: ٧٥) النعمة، وذلك أنه لا يجوز أن يقول القائل: (لي عليه يدي)، بمعنى: (لي عليه نعمتي).. لأنه إن روجع في تفسير قوله تعالى: «بيدي» بـ «نعمتي» إلى الإجماع، فليس المسلمون على ما ادّعى متفقين، وإن روجع إلى اللغة فليس في اللغة أن يقول القائل: (بيدي)

و(حياتها) و(قوتها) حقيقة، و(إرادة الملك) - من البشر - و(قوته) و(حياته)، حقيقة.. ومعلوم أن القدر المشترك في هذه الألفاظ بين (الأسد) و(الرجل الشجاع)، وبين (البليد) و(الحمار) أعظم من القدر المشترك الذي بين (البعوضة) و(الفيل) وبين (البعوضة) و(الملك)، وإذا كان اللفظ حقيقة في كل ما ذكر باعتبار القدر المشترك، فإذن يكون حقيقة باعتبار القدر المشترك فيما هو أظهر وأبين - يعني فيما بين الخالق والمخلوق - أولى.. ولاسيما إذا كان من المعهود بالغرائز والفطر، والمعروف بالنظر والاستدلال، والمعلوم بالبداهة والضرورة، أن (الوجه) و(اليدين) و(السمع) و(البصر) و(الكلام) و(الغضب) و(الرضا) و(الإرادة) وكل ما وصف الخالق به نفسه ووصفه به رسوله لا يماثل ما عليه المخلوق.

ويقال حينئذ للمجادلين بالباطل: إن هذه الألفاظ التي تستعمل في حق الخالق والمخلوق لها ثلاث اعتبارات:

أحدها: أن تكون مقيدة بالخالق كسمع الله وبصره، ووجهه واستوائه، ونزوله وعلمه، وقدرته وحياته.

الثاني: أن تكون مقيدة بالمخلوق كيد الإنسان ووجهه وبيده واستوائه.

الثالث: أن تجرد عن كلتا الإضافتين وتوجد مطلقة.

فإثباتكم هذه الألفاظ والصفات على مسمياتها، إما أن تكون باعتبار الأول أو الثاني أو الثالث ولا رابع لها.. فإن جعلتم جهة كونها حقيقة: تقيدوها بالخالق، لزم أن تكون في المخلوق مجازاً، وهذا مذهب قد صار إليه (أبو العباس الناشئ) الشيعي.. وإن جعلتم جهة كونها حقيقة: تقيدوها بالمخلوق، لزم أن تكون في الخالق مجازاً، وهذا مذهب صار إليه إمام المعطلة (جهم بن صفوان) ودرج أصحابه على أثره.. وإن جعلتم جهة كونها حقيقة: القدر المشترك غير المميز في موضوعها، لزم أن تكون حقيقة في الخالق والمخلوق، وهذا قول عامة العقلاء وهو الصواب.. وإن فرقتم بين بعض الألفاظ وبعض وقعت في التناقض والتحكم المحض..

٢- كما يعكر عليه: ليس انعدام القرائن الدالة على صرف صفات الخبر من نحو: (اليد) و(العينين) و(القدم)، والفعل من نحو: (الاستواء)

ويعني (نعمتي)، وإن لجأ إلى وجه ثالث سالناه عنه ولن يجد له سبيلاً»..

وإنما أتى المنكرون من المتكلمة والمؤولة لنفي صفة اليد له تعالى: من جهة أنهم رأوا اليد تطلق على النعمة والقدرة في بعض المواضع، فظنوا أن كل تركيب وسياق صالح لذلك - حتى وإن قامت القرائن على خلافه - فوهمو وأوهمو، وإلا فهب أن هذا يصلح في قول بعضهم: (لولا يد لك لم أجرك بها)، أفصلح في قوله جلت قدرته: (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) (العنكبوت ٤٨)، وفي قول عبد الله بن عمر: (إن الله لم يباشر بيده أو لم يخلق بيده إلا ثلاثاً: خلق آدم بيده، وغرس جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده)^{١٩}، أو يصح في عقل أو نقل أو فطرة أو ملة أو شريعة أو منطق أن يكون معنى الآية: (وما كنت تتلو من كتاب ولا تخطه بيمينك أو بقدرك)، أو أن يصح أن يقال أن المراد من الأثر: (لم يخلق بقدرته أو بنعمته إلا ثلاثاً)^{٢٠} [ينظر مختصر الصواعق ص ٤٠١: ٤٠٥].

ثم إن السائغ لصرف (اليد) عن ظاهرها إلى المجاز - على ما تقتضيه أوضاع العربية وما جرى عليه أربابها الأقحاح - «لا يستعمل إلا مفرداً أو مجموعاً، كقولك: (له عندي يد يجزيه الله بها)، (وله عندي أيد)، وأما إذا كان بلفظ التثنية كما في قول الله تعالى: (لما خلقت بيدي..) (ص/ ٧٥)، فلم يعرف استعماله قط إلا في اليد الحقيقية؛ إذ ليس من المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة والنعمة بلفظ التثنية، بل بلفظ الأفراد الشامل لجميع الحقيقة، كقوله تعالى: (إن القوة لله جميعاً..) (البقرة/ ١٦٥)، وكقوله: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها..) (إبراهيم: ٣٤، النحل/ ١٨)، وقد يجمع النعم كقوله: (واسبع عليكم نعمه ظاهرة وباطنة..) (لقمان/ ٢٠)، وأما أن يقول: (خلقتك بقدرتين أو بنعمتين)، فهذا لم يقع في كلامه تعالى ولا في كلام رسوله ولا في كلام أحد ممن يعتد بعربيته.

ولما لم يثبت استعمال ذلك بلفظ التثنية، لم يجز أن يكون المراد به هاهنا: القدرة، فيبطل بذلك فائدة تخصيص آدم، فإنه وجميع المخلوقات حتى إبليس مخلوق بقدرته سبحانه.. ثم أي مزية لأدم على إبليس في قوله تعالى: (ما منعك أن تسجد

لما خلقت بيدي..) (ص/ ٧٥) إن حمل معنى اليد على القدرة..؟ وأي خصيصية خص الله بها آدم دون سواه، بدت في قول موسى عليه السلام له وقت الحاجة على ما في الصحيحين: (أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء)، وكذا في قول أهل الموقف له إذا سألوه الشفاعة، لو كان الأمر كذلك.. فهذه أربع خصائص لأدم عليه السلام تضيع الفائدة منها لو وُضعت القدرة - التي يدعي المؤولة والمعطلة أن التعبير باليد هنا مجاز عنها - موضع اليد.

وقضلاً عن عدم صحة وضعها هناك، فإنه سبحانه لو قال بحق آدم عليه السلام لما امتنع إبليس أن يسجد له امتثالاً لأمر الله: (ما منعك أن تسجد لما خلقت بقدرتي)، أو قال له موسى: (أنت أبو البشر الذي خلقك الله بقدرته)، أو قال له أهل الموقف ذلك، لم يحسن ذلك الكلام ولما كان فيه من الفائدة شيء، وتعالى الله أن يُنسب إليه مثل ذلك، فمثل هذا التخصيص - على ما تمليه دقة اللغة ولطافتها - إنما خرج مخرج الفضل له عليه السلام على غيره، كما أن ذلك أمر اختص به آدم ولم يشاركه فيه غيره، فلا يجوز حمل الكلام على ما يبطله. [ينظر السابق ٤٠٣، ٤٠٤].

يضاف إلى ما سبق ذكره: أن نفس التركيب المذكور في قوله: (خلقت بيدي..) (ص/ ٧٥)، يأبى حمل اليد على القدرة؛ لأنه سبحانه نسب الخلق إلى نفسه، ثم عدى الفعل إلى اليد، ثم ثناها ثم أدخل عليها الباء التي تدخل على نحو قولك: (كتبت بالقلم)، ومثل هذا نص صريح لا يحتمل المجاز بوجه، بخلاف ما لو قال: (عملت).. ولهذا لم يكن خلق الأنعام في قوله تعالى: (أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً..) (يس/ ٧١) مساوياً لخلق أبي الأنعام؛ حيث أضاف الفعل في هذه الآية إلى الأيدي وجمعها ولم يدخل عليها الباء، فهذه ثلاثة فروق تبطل إلحاق أحد الموضوعين بالآخر، وتتضمن عدم التسوية بينهما في مزية الخلق.. ومن المعلوم بداهة أن تسوية المعطل بينهما - قصد ذلك أو لم يقصده - من أبطل الباطل وأعظم العقوق للآب؛ إذ ساوى بين آبيه الأول وبين إبليس والأنعام في الخلق باليدين.

ثم إن يد النعمة والقدرة لا يتجاوز بها لفظ (اليد) ولا يتصرف فيها بما يتصرف في اليد الحقيقية، فلا يقال مثلاً فيها (كف)، لا للنعمة ولا للقدرة، ولا (أصبع) و(أصبعان) ولا (يمين) - وهي ألفاظ جاءت في بعض صفاته تعالى ونطقت بها السنة - فهذا كله ينفي أن يكون اليد في حق الله تعالى: يد نعمة أو يد قدرة.. إذ لا يعرف في الاستعمال أن يقال في (يد القدرة): (يد فلان كذا)، فضلاً عن أن يقال: (فعل هذا بيمينه)، فضلاً عن أن يقال: (فعله بيديه)، وإنما المستعمل في يد القدرة والنعمة أن تكون مجردة عن الإضافة وعن التثنية وعن نسبة الفعل إليها كما سبق تقريره.

ذلك أن اليد حيث أريد بها النعمة أو القدرة، لا بد أن يقترن باللفظ ما يدل على ذلك ليحصل المراد، فإما أن تطلق ويُرَاد بها ذلك، فهذا لا يجوز في لغة العرب.. كما إذا أطلق (البحر) و(الأسد) وادعى بذلك أنه أريد به: (الرجل الجواد والشجاع)، فهذا لا يجيزه عاقل ولا يتكلم به إلا من كان قصده التلبس والتعمية، وحيث أراد تلك المعاني فإنه يأتي من القرائن بما يدل على مراده.. فإين ذلك من قوله تعالى: (لما خلقت بيدي..) (ص/ ٧٥)، وقوله: (بل يدها مبسوطتان..) (المائدة/ ٦٤)، وقوله صلى الله عليه وسلم كما في البخاري ومسلم: (فاقوم عن يمين ربي)، إلى غير ذلك مما لا يراد به إلا الحقيقة؛ بل وأين فيه ما يدل على خلافه من إرادة المجاز؟ [ينظر السابق].

وإنما يكمن سر استعمال (اليد) في حق من له يد حقيقة تليق بكماله سبحانه، وتبدو نكتة إضافتها إليه - على ما هو مطرد في لغة العرب - في أن الأعمال والأخذ والعطاء والتصرف لما كان باليد وهي التي تباشره، عبروا بها عن الغاية الحاصلة بها.. وهذا يستلزم ثبوت أصل اليد حتى يصح استعمالها في مجرد القوة والنعمة والإعطاء، فإذا انتفت حقيقة اليد امتنع استعمالها فيها فيما يكون باليد، فثبوت هذا الاستعمال المجازي من أدل الأشياء على ثبوت الحقيقة.

وعلى نحو ما يكون التعبير عن اليد بطريق الحقيقة والمجاز المرسل يكون التعبير عنها بطريق الكناية؛ وعليه فقوله تعالى في حق اليهود: (غلت

أيديهم..) (المائدة/ ٦٤)، هو دعاء عليهم بغل اليد المتضمن للجن والبخل، وذلك لا ينفي ثبوت أيديهم حقيقة، وكذلك قوله في المنافقين: (ويقبضون أيديهم..) (التوبة/ ٦٧) كناية عن البخل ولا ينفي أن يكون لهم أيد حقيقة، وكذلك قوله: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط..) (الإسراء/ ٢٩)، المراد به النهي عن البخل والتقتير والإسراف، وذلك مستلزم لحقيقة اليد، وكذلك قوله تعالى: (أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح..) (البقرة/ ٢٣٧)، أي يتولى عقدها، وهو إنما يعقدها بلسانه ولكن لا يقال ذلك إلا لمن له يد حقيقة، وكذلك قوله: (ولما سقط في أيديهم..) (الأعراف/ ١٤٩) هو كناية عن الندم وتيقن التفريط والإضاعة، بمنزلة من سقط منه الشيء فحيل بينه وبينه، وأتى في هذا بلفظ (في) دون (من) لأن الندم سقط في أيديهم وثبت فيها واستقر، ولو قيل: (سقط من أيديهم)، لم يدل على هذا المعنى.. وإنما تعين لفظ اليد على الحقيقة لهذا المعنى دون المجاز لوجهين:

أحدهما: أنه يقال لمن حصل له شيء وإن لم يقع في نفس يده: (حصل في يده كذا وكذا من الخير والشر)، كما يقال: (كسبت يده وفعلت يده)، وإن كان لغيرها من الجوارح.

ثانيها: إن الندم حدث يحصل في القلب وأثره يظهر في اليد؛ لأن النادم يعرض يديه تارة، ويضرب إحداها على الأخرى تارة، قال تعالى: (فأصبح قلبك كفيه على ما أنفق فيها..) (الكهف/ ٤٢)، وقال: (ويوم يعرض الظالم على يديه..) (الفرقان/ ٢٧)، فلما كان أكثر الندم يظهر على اليد أضيف سقوط الندم إليها؛ لأن الذي يظهر للعيان هو تقلب الكف وعض الأنامل، وأتى بهذا الفعل (سقط) مبنياً للمجهول إيهاماً لشأن الفعل كقولهم: (دُهي فلان وأصيب بأمر عظيم)..

والمقصود أن ذلك لا يقال إلا لمن له يد حقيقة، فإذا قيل: (سقط في يديه) عَرَفَ السائل أن ذلك الكلام مستلزم لحقيقة اليد، خلافاً لما تستعمل اليد فيه للنعمة والقدرة، وإنما يوضح هذا من ذاك دلالات السياق وقرائن الأحوال.. وإلى لقاء آخر إن شاء الله نستكمل فيه ما بدأناه.

{ وَقَصَى رَبُّكَ أَلَّا تُعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا }

(السر: الآية ٢٣)

بر الوالدين

والديك؛ ضعهما في عينيك

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واقتفى.

أما بعد:

فإن النفوس قد جُبلت على حبٍّ من أحسن إليها، وليس في الناس أعظم إحساناً ولا أكثر فضلاً من الوالدين؛ لأنهما اللذان لولا الله ثم لولاهما لم تخرج إلى هذا الوجود، ولأنهما اللذان سخرهما الله لك فصبراً على ما رأيا من الأهوال، وسخرهما لتربيتك والعناية بك في هذه الحياة.

منزلة الأم:

تذكر زمن حمل أمك بك وأنت في بطنها علةً من أكبر العلل، وتذكر وقت ولادتك وهي بين الحياة والممات.

وتذكر أنك كنت تمتص من دمها مدة الرضاع، وسرورها بك، كل هذا تقصر عن شرحه العبارات، وتذكر تنظيفها لبدنك وملابسك من الأقدار، وتذكر فزعها عندما يعتريك خوف أو مرض أو نحو ذلك، وتذكر دفاعها عنك إذا اعتدى عليك معتد، تجوع لتشبع أنت، وتسهر لتنام أنت؛ فهي بك رحيمة، عليك شفقة، إذا غابت عنك دعوتها، وإذا أعرضت عنك ناجيتها، وإذا أصابك مكروه استغثت بها، تحسب كل الخير عندها، وتظن أن الشر لا يصل إليك إذا ضمتك إلى صدرها، أو لحظتك بعينها، وتستمر معها المتاعب حتى بعد أن تشب أنت وتصبح رجلاً

عبده أحمد الأقرع

إعداد:

وزوجاً، وذا أولاد، فالوالدة دائماً تبحث عنك وتتفقد أحوالك، يسوءها ما يسوءك، ويحزنها ما يحزنك، فله درهن من أمهات مشفقات، ومربيات رقيقات، ووالدات رقيقات - جزاهن الله عنا جنات عرضها الأرض والسموات.

منزلة الأب:

أما الأب الغالي، والوالد الحاني: فأنت له مجبنة مبخلة، يكّد ويسعى، ويدفع عنك صنوف الأذى، ينتقل في الأسفار، يجوب الفيافي والقفار، ويتحمل الأخطار بحثاً عن لقمة العيش، ينفق عليك، ويصلحك ويربيك، إذا دخلت عليه هش، وإذا أقبلت إليه بش، وإذا حضر أقعدك على حجره وصدره، وإذا غبت

يتطلعان للإحسان، ويؤملان البر والشكران، ولكن خاب ظنهما، وكأني بهما وقد تمنيا أن لو كانا عقيمين، تئن لهما الفضيلة، وتبكي من أجلهما المروءة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قالي العاق تذكر بهذه التعذيرات النبوية:

عقوق الوالدين يمنع دخول الجنة:

قال صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث، الذي يفرُّ الخبث في أهله». [صحيح الترغيب: ٥١٢].

وعقوق الوالدين يمنع العاق من نظر الله إليه يوم القيامة: قال صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان عطاءه». [صحيح الترغيب: ٢٥١١].

وعقوق الوالدين من أكبر كبائر الذنوب:

قال صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشرار بالله، وعقوق الوالدين»، وكان متكئاً فجلس، فقال: «ألا وقول الزور وشهادة الزور». [البخاري: ٢٦٥٤، ومسلم: ٨٧].

وعقوق الوالدين يحبط الأعمال:

عن عمرو بن مرة الجهني- رضي الله عنه- قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، شهدت أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت رمضان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا- ونصب أصبعيه- ما لم يعق والديه». [صحيح الترغيب رقم: ٢٥١٥].

فقوله صلى الله عليه وسلم: «ما لم يعق والديه». يفيد أن الصلوات الخمس، وصيام الشهر، وإيتاء الزكاة لا ينفع ذلك صاحبه إذا كان عاقاً لوالديه، يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا يقبل الله عز وجل منهم صرفاً ولا عدلاً، عاق، ومنان، ومكذب بقدر». [صحيح الترغيب: ٢٥١٣].

عقوق الوالدين من أسباب تعجيل العقوبة في الدنيا، مع ما يُذكر له في الآخرة:

قال صلى الله عليه وسلم: «ما من ذنب أجدر أن

عنه سأل عنه، وانتظر مجيئك، وإذا رآك ابتسم مُحياه وبرقت ثنياه.

وتذكر عنايته بك في تعليمك، وتوجيهك إلى ما فيه صلاح دينك ودنياك، وتذكر فرحه واستبشاره بمحبتك ونجاحك، وتذكر دفاعه عنك بيده ولسانه، وتذكر دعاءه لك في مظنة أوقات الإجابة أن يُصلحك الله ويوفقك، هذان هما والداك، وتلك هي طفولتك وصباك.

والداك نالا بسببك التعب والمشقة، غُرست محبتك في قلوبهما لا يتركان شيئاً في وسعهما إلا بذلاه لإسعادك، أنت قرة عينيهما وزينة دنياهما، وأنت أنس حياتهما وأمل مستقبلهما، يرخسان المال إذا مرضت، ويجزلان العطاء إذا طلبت، من رحيقهما أخذت، وفي حُجورهما وأحضانها نشأت.

هذان هما الأبوان اللذان جاءت الوصية بهما: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) [الأحقاف: ١٥].
(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ) [لقمان: ١٤].

وفي مشكاة النبوة يأتي برُّ الوالدين قريباً للصلاة عمود الإسلام ومتقدماً على الجهاد ذروة سنن الأمر.

عن ابن مسعود- رضي الله عنه- قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ العمل أحبُّ إلى الله؟ قال: «بر الوالدين». قلت: ثم أيُّ، قال: «الجهاد في سبيل الله». [صحيح البخاري: ٥٢٧، وصحيح مسلم: ٨٥].

فانظروا- يراعكم الله- كيف فاق برُّ الوالدين الجهاد في سبيل الله!!

ويشهد لذلك أيضاً- أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد، فقال: «أحيي والداك؟» قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد». [البخاري: ٣٠٠٤، ومسلم: ٢٥٤٩].

الغفلة عن البر وسائى العقوق:

ورغم هذه الوصايا الإلهية والتوجيهات النبوية إنك لتأسف أشد الأسف من صور تراها، أو حقائق تسمعها، من تساهل كثير من الأبناء في بر والديهم، فلا تقدير ولا احترام، ولا سمع ولا طاعة، بل غلظة وفضاظة، ونهر وعقوق، وقد كانا

وَلَوْلَدَيْكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) [إبراهيم: ٤١].

ومن الآثار الواردة في بر الوالدين:

عن أبي مرة، مولى أم هانئ بنت أبي طالب: «أنه ركب مع أبي هريرة إلى أرضه بالعقيق» فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته: عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أمتاه، تقول: عليك السلام ورحمة الله وبركاته، يقول: رحمك الله كما رببتني صغيراً، فتقول: يا بني، وأنت، فجزاك الله خيراً ورضي عنك كما بررتني كبيراً. [صحيح الأدب المفرد للبخاري: ص ٣٧]. وعن أبي بردة أنه شهد ابن عمر، ورجل يمانى يطوف بالبيت، حمل أمه وراء ظهره يقول:

إني لها بغيرها المذل

إن أذعرت ركايبها لم أذعر

ثم قال: يا ابن عمر، أتراني جزيتها؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة. [صحيح الأدب المفرد ص ٣٦]، ومعنى: «ركايبها» أي: بغيرها. ومعنى: «ولا بزفرة واحدة» المرة من الزفير وهو تردد النفس حتى تختلف الأضلاع، وهذا يعرض للمرأة عند الوضع.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله من بر الوالدة. [الأدب المفرد].

وسئل الحسن البصري: ما بر الوالدين؟ قال: أن تبذل لهما ما ملكت، وأن تطيعهما فيما أمراك به؛ إلا أن يكون معصية. [الدر المنثور للسيوطي ٢٥٩/٥].

إذا علمت ذلك فاعلم أن حق الوالدين عظيم، وأن الأبناء عاجزون عن القيام بهذا الحق مهما قدموا، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يجزي ولد والد إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه». [مسلم: ١٥١٠].

فأنت أيها الابن مهما فعلت في بر الوالدين والإحسان إليهما فلن تقوم بواجبهما أو توف حقهما، ولكن الجأ إلى الله بالدعاء لهما في حال الحياة وبعد الممات، فهذا خلق الأنبياء، ودأب الصالحين: (رَبِّنا أَغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) [إبراهيم: ٤١].

والحمد لله رب العالمين.

يُعَجِّلَ الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدخره له في الآخرة من البغي، وقطيعة الرحم. [صحيح الجامع رقم: ٥٧٠٤].

وهذا أمر مشاهد وملموس، ولو لم يكن للعاق من العقوبة إلا ما يُرى من سوء حاله لكفى، فإنك تراه غالباً في أبأس الحالات وأشدّها، بخلاف البارّ بوالديه؛ فإن أموره -في مجملها- ميسرة بركة في العمر، وزيادة في الرزق، قال صلى الله عليه وسلم: «من سرّه أن يمد له في عمره ويزاد له في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه». [صحيح الترغيب: ٢٤٨٨].

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يردُّ القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر». [صحيح الترغيب: ٢٤٨٩].

ويظفر البارّ بوالديه برضا الرب سبحانه، قال صلى الله عليه وسلم: «رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد». [صحيح الجامع: ٣٥٠٦].

البار بوالديه مُجاب الدعاء:

قال صلى الله عليه وسلم: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مراد، ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بار، لو أقسم على الله لأبره». [مسلم: ٢٥٤٢].

وبرّ الوالدين: منهج الأنبياء والمرسلين، وعمل الكرام والصالحين، قال الله تعالى عن نبيه عيسى عليه السلام: (وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ جَبَّارًا شَقِيًّا) [مريم: ٣٢]، وقال تعالى عن نبيه يحيى بن زكريا -عليهما السلام-: (وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا) [مريم: ١٤].

وقال تعالى عن نبيه سليمان عليه السلام: (رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ) [النمل: ١٩]، وقال تعالى عن المؤمن: (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ) [الأحقاف: ١٥].

والدعاء لهما -دأب المرسلين من أولي العزم-

قال الله تعالى عن نبيه نوح -عليه السلام-: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) [نوح: ٢٨]. وقال تعالى عن خليله إبراهيم: (رَبِّنا اغْفِرْ لِي

أولاً: معنى الإيمان باليوم الآخر:

قال المباركفوري في الرحيق المختوم: (وهو مما كان يقوي هذا الشعور - الشعور بالمسئولية - فقد كانوا على يقين جازم بأنهم يقومون لرب العالمين، ويحاسبون على أعمالهم دقها وجلها، صغيرها وكبيرها، فإما إلى النعيم المقيم، وإما إلى عذاب خالد في سواء الجحيم، فكانوا يقضون حياتهم بين الخوف والرجاء، يرجون رحمة ربهم ويخافون عذابه، وكانوا كالذين (يُؤْتُونَ مَاءًا ثَرًا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَجِعونَ) (المؤمنون: ٦٠)، وكانوا يعرفون أن الدنيا بعذابها ونعيمها لا تساوي جناح بعوضة في جنب الآخرة، وكانت هذه المعرفة القوية تهون لهم متاعب الدنيا ومشاقها ومرارتها؛ حتى لم يكونوا يكثرثون لها ويلقون إليها بالآه.

والإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بالبعث، وبالحساب والجزاء، وبالجنة والنار.. وغير ذلك مما ثبت في وصف يوم القيامة والدار الآخرة في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

١ - الإيمان بالبعث:

فالمسلم يؤمن بأن الله هو الباعث، وسيبعث الناس ليوم لا ريب فيه، قال تعالى: (وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ) (الحج: ٧)، وقال: (ثُمَّ لَنُكْرِمَنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَيْتُونَ) (١٥) ثُمَّ لَنُكْرِمَنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَيْتُونَ (١٦)، وقال: (رَبِّمُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُعْثِقُوا قُلُوبَهُمْ لَنُكْرِمَنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَيْتُونَ) (التغابن: ٧).

٢ - الإيمان بالحساب والجزاء:

ويؤمن كذلك بأن الله سبحانه وتعالى سيحاسب الناس على ما فعلوه في دنياهم، قال تعالى: (لَنُجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (إبراهيم: ٥١)، وقال سبحانه: (أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ) (الأنبياء: ١)، وقال جل وعلا: (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (غافر: ١٧)، وقال سبحانه: (إِنَّا إِنَّمَا إِنَّا بِأَعْيُنِنَا) (الغاشية: ٢٥-٢٦).

عوامل الصبر والثبات

العامل السادس: الإيمان باليوم الآخر

الحلقة السادسة

المستشار/ أحمد السيد علي

إعداد/

الحمد لله حمداً يليق بجلاله وعظمه سلطانه، والصلاة والسلام على عبده ورسوله الذي اصطفاه على جميع انامه، وعلى زوجاته الطاهرات، وعلى اصحابه الغر الميامين المتبعين لهديه في كل احكامه. وبعد، فما يزال الحديث موصولاً عن عوامل الصبر والثبات، ونعيش بمشيئة الله تعالى مع العامل السادس ألا وهو: الإيمان باليوم الآخر، فنقول وبالله التوفيق:

٣ - الإيمان بالجنة والنار:

ويؤمن بأن الله خلق الجنة والنار، وأنهما موجودتان وبأقيتان لا تفنيان، وأن الله أعد الجنة لعباده المؤمنين خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض، وأعد النار للكافرين خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض، ولعصاة المؤمنين بغير خلود، قال تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٨﴾ خَلِيلِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٩﴾) وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلِيلِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَحْذُورٍ (هود: ١٠٦-١٠٨).

ثانياً: بعض أنواع الصبر المترتبة على هذا العامل:

النوع الأول: الصبر على المصائب:

إن المؤمن إذا آمن باليوم الآخر بأركانه الثلاثة فلا بد أن يصبر على المصائب التي تقع له، وليس أدل على ذلك مما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أباه، فقال لها: (ليس على أبيك كرب بعد اليوم). فلما مات قالت: يا أبتاه، أجاب رباً دعاه، يا أبتاه، من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل نعاه. فلما دفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب؟! (رواه البخاري).

فهذه فاطمة رضي الله عنها تصبر على فقدتها لأبيها وتسلم لقضاء الله وقدره، لإيمانها بمآل أبيها صلى الله عليه وسلم، وأن الدار الآخرة خير له من الحياة الدنيا، وانظر أخي الحبيب إلى فعلها وقارن بينه وبين من لم يخالط الإيمان باليوم الآخر قلبه، فلم يصبر على ما أصابه من موت الأحبة وفراقهم.

النوع الثاني: الصبر على الابتلاءات:

والابتلاءات متعددة، والمؤمن إذا آمن باليوم الآخر فلا يسعه إلا الصبر عليها، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الإحسان

للجار والصبر على أذيته، وعدم معاملته بالمثل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره) (رواه البخاري).

وفي رواية عن أبي شريح العدوي الخزاعي قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره) (رواه مسلم).

وقد بين ذلك الحسن البصري فقال: (ليس حسن الجوار كف الأذى عن الجار، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى من الجار). وقد صبر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الابتلاء العظيم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره، فقال: اذهب فاصبر، فاتاه مرتين أو ثلاثاً فقال: اذهب فاطرح متاعك في الطريق. فطرح متاعه في الطريق، فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره، فجعل الناس يلعنونه: فعل الله به، وفعل، وفعل، فجاء إليه جاره فقال له: ارجع لا ترى مني شيئاً تكرهه) (رواه أبو داود، وقال الألباني: حسن صحيح).

فالرجل الأول صبر على أذى جاره، والجار المؤذي توقف عن الإيذاء؛ خوفاً من أن تصيبه اللعنة فيصير مطروداً من رحمة الله في الآخرة.

وتبع الصحابة في ذلك فضلاء هذه الأمة، فقد حكى الغزالي في الإحياء (أن مالك بن دينار - رحمه الله تعالى - كان له جار يهودي، فحول اليهودي مستحمة إلى جدار البيت الذي فيه مالك، وكان الجدار متهدماً، فكانت تدخل منه النجاسة، ومالك ينظف البيت كل يوم ولم يقل شيئاً، وأقام على ذلك مدة وهو صابر على الأذى، فضاق صدر اليهودي من كثرة صبره على هذه المشقة، فقال له: يا مالك، أذيتك كثيراً وأنت صابر، ولم تخبرني، فقال مالك: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «ما زال جبريل يوصيني بالجار؛ حتى ظننت أنه سيورثه» فندم اليهودي وأسلم). اهـ.

وذكر ابن تيمية في كتاب الاستقامة (أن سهل بن عبدالله التستري - رحمه الله - كان له جار مجوسي، وكان في نفس البيت في الطابق الأعلى، فانفتحت فتحة في كنيف المجوسي، فكان يقع منها الأذى في دار سهل، فكان يضع كل يوم الجفنة تحت الفتحة، فينزل فيها الأذى، ثم يأخذ ذلك بالليل ثم يطرحه بعيداً، فمكث - رحمه الله - على هذا الحال زمناً طويلاً إلى أن أتى سهلاً المرض، فاستدعى سهل جاره المجوسي، وقال له: ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه فرأى الفتحة والقذر، فقال: ما هذا؟ قال سهل: هذا منذ زمن طويل يسقط من دارك، وأنا ألتقيه بالنهار وألقيه بالليل، ولولا أنه حَضَرَنِي أَجْلِي ما أَخْبَرْتُكَ، وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيري لذلك، فافعل ما ترى، فقال المجوسي: أيها الشيخ، أنت تعاملني بهذه المعاملة منذ زمن طويل، وأنا مقيم على كفرِي، أيها الشيخ، مد يدك، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم مات سهل - رحمة الله عليه). اهـ.

وقارن أيها القارئ الكريم بين صبر هؤلاء على هذه الابتلاءات وبين ما يحدث في هذا الزمن فنجد من يؤدي جاره، فينزل عليه القذى والقذر من حمامه، ولا يستجيب لرجاء جاره، بل ويستمتع بتعذيبه، فلا يجد المسكين مفراً من بيع سكنه والبحث عن سكن آخر!!

يَلُومُونَنِي إِذْ بَغْتُ بِالرُّخْصِ مَنْزَلاً

وَلَمْ يَعْرِفُوا جَاراً هُنَاكَ يُنْغِصُ

فَقُلْتُ لَهُمْ: كَفُّوا الْمَلَامَ فَإِنَّهَا

بَجِيرَانَهَا تَغْلُو الدِّيارَ وَتَرْخُصُ

النوع الثالث: الصبر على الطاعات:

وقد كان الإيمان باليوم الآخر عاملاً من عوامل الصبر على الطاعات، ومن أجلها الجهاد في سبيل الله، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (أن عمه غاب عن بدر، فقال: غبت عن أول قتال النبي صلى الله عليه وسلم، لأنني أشهدني الله مع النبي صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أجد، فلقني

يوم أجد، فهزَمَ الناسَ، فقال: اللهم إني أعوذُ إليك مما صنع هؤلاء؛ يعني: المسلمين، وأبرأ إليك مما جاء به المشركون، فتقدم بسيفه فلقى سعد بن معاذ، فقال: أين يا سعد، إني أجد ريح الجنة دون أجد، فمضى فقتل، فما عرف حتى عرفته أخته بشامة، أو ببنانه، وبه بضغ وثمانون طعنة وضربة سيف ورمية بسهم) (رواه البخاري).

فهذا أنس بن النضر صبر على تلك الفريضة العظيمة لإيمانه باليوم الآخر، بل لقد وجد ريح الجنة دون أحد، والبعض من المسلمين الآن لا يصبر على هذه الطاعة العظيمة، بل ويعادي من يقوم بها في مواجهة أعداء الدين من الذين احتلوا ديار المسلمين !!

النوع الرابع: الصبر عن المعاصي:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (إن رجلاً قعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم؟ قال: يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً، لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل. قال: فتنحى الرجل فجعل يبكي ويهتف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما تقرأ كتاب الله (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً) الآية. فقال الرجل: والله يا رسول الله ما أجذلي ولهم شيئاً خيراً من مفارقتهم، أشهدك أنهم أحرار كلهم) (رواه الترمذي وصححه الألباني).

فهذا الرجل حينما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم باليوم الآخر وبِعِظَم الحساب، بكى عينه وصبر عن معصية الظلم لمملوكيه، واعتقهم لوجه الله تعالى، والبعض منا الآن لا ينزع يده من ظلم الآخرين، وما ذاك إلا لضعف إيمانه باليوم الآخر.

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

د. حمدي طه

أهل العلم والتي يجب مراعاتها عند التعامل مع النصوص بوجه عام ومع النصوص الواردة فيما نحن فيه بوجه خاص:

- 1- يجب جمع النصوص من القرآن الكريم والسنة الشريفة الواردة في المسألة محل البحث من مصادرهما المعتبرة. وعدم الإقتصار على قسم من النصوص يراه الفقيه غالباً دليلاً كافياً على رأيه، وداعماً لاجتهاده، وترك ما سواه، وقد وجد ذلك بكثرة في بعض كتب المذاهب التي غالباً ما يقتصر أصحابها على الأدلة التي تنصر مذهبهم، وقد تكون في بعض الأحيان أدلة ضعيفة لا تصلح للاحتجاج أصلاً، فضلاً عن معارضة الأدلة الصحيحة. (الجامع لأحكام الصيام لمحمود عبد اللطيف عويضة ٢/١).
- 2- التثبت في صحة الدليل وثبوته، فالواجب الحذر من الأحاديث التي لا تقوم بها الحجة، فيجب معرفة الثابت منها عن النبي صلى الله عليه وسلم وغير الثابت، والاستدلال بالأحاديث الصحيحة وبالحسنة فقط، ولا بد من معرفة روايات الحديث والفاظه؛ فإن بعضها يفسر بعضاً، وترك ما سواه من أحاديث ضعيفة على اختلاف أنواعها؛ حتى لا تعارض الأحاديث الصحيحة بالضعيفة. (معالم أصول الفقه للجيزاني ٢٦٢/١).

- 3- لا يلجأ إلى الترجيح إلا عند عدم إمكان الجمع بين هذه النصوص، وإعمال جميع النصوص المتعلقة بكل مسألة من المسائل، وعدم إهمال أي منها، فإعمال الكلام أولى من إهماله؛ قاعدة فقهية مشهورة.

- 4- الأصل في العبادات الحظر والمنع، حتى يقوم دليل على ثبوتها، وأنها من شرع الله - عز وجل -، ودليل ذلك: أن الله أنكر على من شرعوا في دين الله ما لم يأذن به؛ فقال - تعالى -: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ لَوْلَا ذَلِكَ لَفَعَلْنَا بَعْضُهُمْ فِتْنَةً أَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ عَصَاكُمْ أَمَّا بَعْضُهُمْ لَمَّا وَاعَدَ اللَّهَ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِهِمْ وَأَمَّا لَلْأَكْثَرِ مِنْهُمْ لَغَافِلُونَ) (الشورى: ٢١).. وثبت من

تكلمنا في العدد السابق على قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في النوافل المستخلص مما ذكرناه الهدي العام لقراءته صلى الله عليه وسلم في الصلاة، ونكمل في هذا العدد بيان الأحكام العامة المستفادة من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة بأدلتها التفصيلية.

سنذكر عرضاً إجمالياً لأهم المسائل المتعلقة بالقراءة، ونبين الراجح فيها ودليل كل مسألة. قال المالكية والحنابلة: يندب إكمال سورة بعد الفاتحة، فلا يقتصر على بعضها، ولا على آية أو أكثر، ولو من الطوال، ويكره تكرير السورة عند الجمهور في الركعتين، بل المطلوب أن يكون في الثانية سورة غير التي قرأها في الأولى، تالية لها في الترتيب، فلا يقرأ في الثانية (سورة القدر) بعد قراءته في الأولى (سورة البينة). وقال الحنفية: لا بأس أن يقرأ سورة ويعيدها في الثانية.

ويندب عند الجمهور تقصير قراءة الركعة الثانية عن قراءة الركعة الأولى في الفرض، وقال أبو حنيفة وأبو يوسف: يندب تطويل الركعة الأولى في الفجر فقط. والفتوى على قول محمد كالجمهور بتطويل الركعة الأولى في كل الصلوات على الثانية؛ اتباعاً للسنة، رواه الشيخان في الظهر والعصر، ورواه مسلم في الصبح، ويُقاس غير ذلك عليه.

ويندب باتفاق الفقهاء أن يكون ترتيب السور في الركعتين على نظم المصحف، فتتكيس السور مكروه. ولا تكره قراءة أواخر السور وأواسطها؛ وجاز الجمع بين السورتين فأكثر في صلاة النافلة؛ أما الفريضة: فالمستحب أن يقتصر على سورة مع الفاتحة من غير زيادة عليها؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم هكذا كان يصلي أكثر صلاته. (الفقه الإسلامي وأدلته د. وهبة الزحيلي ٧٣/٢).

فائدة تأصيلية:

قبل أن نبدأ في بيان الأحكام المستفادة من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة ينبغي أن نذكر بعض الضوابط والقواعد التي قررها

حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» (صحيح مسلم ١٧١٨)، وإذا كان مردوداً كان باطلاً وعيباً، يُنزه الله - عَزَّ وَجَلَّ - أَنْ يَتَقَرَّبَ بِهِ إِلَيْهِ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١٦/٢٩): «تصرفات العباد من الأقوال والأفعال نوعان: عبادات يصلح بها دينهم، وعادات يحتاجون إليها في دنياهم، فباستقراء أصول الشريعة نعلم أن العبادات التي أوجبها الله أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع، وأما العادات فهي ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه، والأصل فيه عدم الحظر، فلا يحظر منه إلا ما حظره الله سبحانه وتعالى؛ وذلك لأن الأمر والنهي هما شرع الله، والعبادة لا بد أن تكون مأموراً بها، فما لم يثبت أنه مأمور به كيف يحكم بأنه عبادة؟! وما لم يثبت من العادات أنه منهي عنه كيف يحكم على أنه محظور؟! ولهذا كان أحمد وغيره من فقهاء أهل الحديث يقولون: إن الأصل في العبادات التوقيف. اهـ.

قلت: ولهذه القاعدة تفصيلات كثيرة مهمة ليس موضع بسطها الآن، ولعلنا نعرض لهذه التفصيلات فيما بعد.

٥- الأصل تساوي الفرض والنفل في جميع الأحكام إلا بدليل، فكل ما ثبت في النفل ثبت في الفرض، وكل ما انتفى في النفل انتفى في الفرض إلا بدليل.

وبدل لهذا الأصل: أن الصحابة رضي الله عنهم لما حكوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتر على راحلته قالوا: غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة. فلما حكوا أنه يؤتر، ثم قالوا: غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة، دل ذلك على أن المعلوم أن ما ثبت في النفل ثبت في الفرض؛ ولأنهما عبادتان من جنس واحد، والأصل اتفاقهما في الأحكام. (الشرح الممتع محمد بن صالح العثيمين ٢/٢٥٧).

٦- إن الأصل في الأقوال والأفعال العموم؛ إلا إذا دل الدليل على التخصيص، فأمرو الشارع للمواحد أمر لجميع أفراد الأمة؛ إذا خاطب الشارع الحكيم فرداً من الأمة أو حكم عليه بحكم يكون هذا الحكم عاماً في الأمة إلا إذا قام دليل التخصيص أو يكون خاصاً بذلك المخاطب. (تمام المنة في التعليق على فقه السنة للألباني ٤١/١).

هذه أهم الأمور التي ينبغي مراعاتها في المسائل محل البحث، ولنشرع في بيان هذه المسائل:

١- هل ينبغي قراءة سورة كاملة بعد الفاتحة في الصلاة أم يقرأ ببعض سورة؟!.

بتتبع الأحاديث الواردة نجد أن أغلب حال النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم قراءة السورة كاملة، فينبغي للإنسان أن يقرأ سورة كاملة، لا بعض السورة، ولا آيات من أثناء السورة؛ فيبدأ القراءة من أول السورة وينتهي قراءته بنهاية السورة، وأطلقه ابن القيم في «زاد المعاد»: حيث قال: «وأما قراءة أواخر السور وأواسطها فلم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم». ولكن يجاب عن ذلك بأنه ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما (قُلْ لَوْ أَنَّهُ لَشَاءُ اللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا) الآية التي في البقرة، وفي الآخرة (مَآئِكَ بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ)) وفي رواية: (كان يقرأ في ركعتي الفجر (قُلْ لَوْ أَنَّهُ لَشَاءُ اللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا) والتي في آل عمران (تَمَآلَوْا إِنَّا كَلِمَتُكُمْ سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ)) رواهما أحمد ومسلم (الشرح الممتع لمحمد بن صالح العثيمين ٢/٧٣).

فقد دل هذان الحديثان على أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ آية واحدة فحسب في الركعة الواحدة.

٢- هل يصح أن يصلى بالآية الواحدة أكثر من ركعة أو يكرر الآية في الركعة الواحدة؟

ويصح أن يصلى بالآية الواحدة أكثر من ركعة، ويدل لذلك أنه (قام - صلى الله عليه وسلم - ليلة بآية يرددها حتى أصبح وهي: (إِن تَدْعُهُمْ فَلَهُمْ عِبَادَةٌ وَإِن تَنْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ أَلَمْرُزُ الْحَكِيمِ) (المائدة: ١١٨)، بها يركع وبها يسجد وبها يدعو، فلما أصبح قال له أبو ذر رضي الله عنه: يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها، وتدعو بها، وقد علمك الله القرآن كله، لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه. قال: (إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فاعطانيها، وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئاً) (رواه النسائي وابن خزيمة).

فالأمر إذن موسع، يبدأ بقراءة آية واحدة وينتهي بمقدار ما يطبق المسلم قراءته من القرآن، وقد ذكرنا أن الأصل: أن ما ثبت في النفل ثبت في الفرض؛ إلا بدليل، وعلى ذلك يكون المستحب قراءة السورة كاملة، ولا بأس في الاقتصار على بعض السورة؛ لثبوته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإن ما ذهب إليه بعض الأئمة (من أن قراءة بعض السورة خلاف السنة) غير صحيح.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

ويكفي أن تعلم أن العين الموسومة على الدولار فوق قمة الهرم هي إحدى رموز الماسونية اليهودية، والتي ترمز للدجال، وعندما نتحدث عن أثر التوراة في السياسة الأمريكية والأوروبية والإسرائيلية فنحن لا نغفل جانب الانتهازية والعقلية الاستعمارية التي تحكم تصرفات الغرب وأمريكا، وكذلك نعلم أن اليهود أشبه الناس بالشيطان على الأرض؛ وقد لعنهم الله على لسان داود وعيسى ابن مريم، ولعنهم في القرآن الكريم، وهم لا يتورعون عن فعل أي شيء لتحقيق مصالحهم المادية، ومنها استخدام التوراة المحرفة وهم يعلنون ذلك صراحة دون مواربة؛ فتلمودهم الذي كتبوه بأيديهم يقول: «يجب على كل يهودي أن يسعى لأن تظل السلطة على الأرض لليهود دون سواهم، وقبل أن يحكم اليهود نهائياً باقي الأمم يجب أن تقوم الحرب على قدم وساق، وبهلك ثلثا العالم، وسيأتي المسيح الحقيقي ويحقق النصر القريب، وحينئذ تصبح الأمة اليهودية غاية في الثراء؛ لأنها تكون قد ملكت أموال العالم جميعاً ويتحقق أمل الأمة اليهودية بمجرد قيام إسرائيل (من كتاب الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، لإسماعيل كيلاني ص ٨٩، المكتب الإسلامي سنة ١٩٨٩م). حتى تكون هي الأمة المتسلطة على باقي الأمم عند مجيء المسيح».

انظر فيم يفكر اليهود؟! تفكيرهم مادي بحت، ألم يعبد أجدادهم العجل الذهبي من دون الله!
واستطاع اليهود بدهائهم ومكرهم أن يحكموا العالم من خلف الستار؛ تمهيداً لحكمه علانية كما يدعون عند نزول المسيح الذي ينتظرونه وهو الدجال- إن شاء الله- والذي سيتبعه سبعون ألف منهم من يهود أصفهان حين ينزل هناك في بداية نزوله، أما الذي سينزل في دمشق فهو عيسى ابن مريم عليه السلام، وسيأتي تفصيل ذلك.

وقد أشرت في مقالتي السابق أن أهل الباطل يعملون بجد لتحقيق باطلهم كما يعتقدون، ويجندون أهل الأرض لمشروعهم ويتفوقون رغم تفرقهم، أما أهل الحق المسلمون فيتفرون رغم اتفاقهم ويهملون حقهم الصريح الصحيح، وإذا كان قادة أمريكا وإسرائيل ومن شايعهم لا يستنكفون عن الانتساب إلى عقيدة التوراة والعمل لها، فإن كثيراً من حكام المسلمين يستنكفون من الإسلام وأهله بل يحاربون الإسلام

القصة في كتاب الله

نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان

٥

عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد رأينا في اللقاء السابق كيف اعتمدت الحركة الصهيونية العالمية النصرانية في معيها لإقامة دولة إسرائيل عقيدة منسوبة للتوراة، وكيف استغل اليهود ذلك في التأثير على النصارى الذين يؤمنون بالعهد القديم كجزء أساس من كتابهم المقدس، وخصوصاً بعد ظهور البروتستانت الذين يؤمنون بحرفية التوراة، وكيف ساعد اكتشاف أمريكا وهجرة البروتستانت إليها في ترسيخ هذا المفهوم حتى تأثر به رؤساء أمريكا فضلاً عن غيرهم ولا يخفى على مطلع اتساع اللوبي اليهودي وتعاونه مع الإنجليز الأمريكان حتى صار النفوذ اليهودي يؤثر في اختيار الرئيس الأمريكي، ولا بهم التناؤد الجمهوري أو الديمقراطي طالما سيخدم قضية إسرائيل، هذا فضلاً عن اتساع النفوذ اليهودي في الاقتصاد والإعلام بأشكاله المختلفة.

فيدعون أنهم قتلوه وصلبوه لأنهم لا يؤمنون أنه رسول الله، بل يثير الفتنة ويستحق القتل وهكذا أقنعوا الحاكم الروماني حتى قتل عيسى وصلب كما يزعمون، والنصارى يعتقدون أن اليهود قتلوا إلههم أو ابن إلههم ودمه في أعناقهم إلى يوم القيامة. والأمر الثاني: وهو نزول عيسى آخر الزمان فيعتقد اليهود والنصارى أنه من أبناء داود وسينزل في آخر الزمان في القدس لكنهم يختلفون في النتيجة، فالنصارى يرون أنه سيكون لهم وينصرهم ويقتل ما سواه من اليهود والمسلمين وغيرهم. واليهود يرون أنه سيكون لهم ويقتل ما عداهم من النصارى والمسلمين وغيرهم.

مناقشة هذين الأمرين:

من المفترض أن تكون العداوة قائمة ومستمرة إلى يوم القيامة بين اليهود والنصارى، وأن يُبغض النصارى اليهود بغضاً أبدياً؛ لأنهم قتلوا إلههم ومعبودهم وكفروا به، ولذلك سيأتي في آخر الزمان ليقتلهم، وقد كانت فعلاً العداوة قائمة حتى بداية القرن السادس عشر الميلادي فماذا حدث؟

أقول: كانت العداوة مستمرة بين الطائفتين وكانت الكنيسة البابوية في روما تقود هذه العداوة وتستمر في لعن اليهود وينسبون إليهم كل شر، ومن طرائف هذا العداء أن وباء خطيراً انتشر في أوروبا فقتل ثلث سكان القارة وأطلقوا عليه «الطاعون الأسود»، فاعلن بابا الفاتيكان في منشور رسمي غم في كافة أنحاء أوروبا أن سبب هذا الطاعون هم اليهود، وقامت حملات شديدة تزعمها البابا لتخليط المجتمعات الأوروبية من اليهود، واستمرت هذه الحملة ثلاثة قرون الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر للميلاد، لكن هذه العداوة تلاشى شيئاً فشيئاً بعد ظهور المذهب البروتستانتي واكتشاف أمريكا، وأخذ البروتستانت يعملون بدواء واليهود من خلفهم ولعل البروتستانت صنيعتهم حتى أعلنت الكنيسة البابوية مؤخراً براءة اليهود من دم المسيح، وتغلبت المصالح المادية على العقيدة الدينية لأنها هشة.

أما بالنسبة لمسألة اختلافهم فيما سيفعله المسيح حال نزوله فجمعهم الحقد والحسد ضد المسلمين، واتفقوا على تأجيل الحديث والخوض في تفاصيل نزول المسيح والتعاون والاهتمام لهيئة الأجواء لنزوله، فإذا نزل فسرى هل هو الذي يؤمن به اليهود أم النصارى؟

وللحديث بقية إن شاء الله وإلى لقاء لنجيب على سؤال مهم: هل لليهود حق ديني شرعي في فلسطين؟
والحمد لله رب العالمين.

وأهله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
ما علاقة واقعنا بالحديث عن نزول عيسى عليه السلام؟

الأتري أن إقامة إسرائيل في فلسطين هو تمهيد لنزول عيسى كما يعتقدون؟ وكما بينا في المقال السابق، وبالتالي فإن ما يحدث وحدث في العراق وفي فلسطين وفي لبنان وفي سوريا وتونس ومصر من أجل الحفاظ على أمن إسرائيل وبقائها، فمحاصرة مصر اقتصادياً ومائياً وعسكرياً، واختراقها اجتماعياً، وبث الفتنة والوقية، ونشر البغضاء بين أفراد المجتمع حتى تحدث القلاقل والحروب وتنتشر الفوضى الخلاقة التي تتبناها أمريكا والتي لا تثمر إلا الفوضى ثم الفوضى.

ونحن لا نشك لحظة أن اليهود يستخدمون الدين للعلو والسيطرة؛ لأنهم كما أخبرنا الله يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله وهم يستخدمون الدهاء والمكر، ويغترون بكثير من النصارى ويصلونهم، ومع ذلك فمن الغرب وأمريكا من التقت مصالحه مع اليهود ووجد ضالته فيهم للحفاظ على مصالحه، ولاستمرار دفق البترول والمواد الخام، وإشباع رغبته في السيطرة والاستبداد، وأحسن القول قول ربي حين قال سبحانه: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّا بِغُلَامٍ يَدْعُوهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّا بِغُلَامٍ لَا يَدْعُوهُ إِلَيْكَ لَا مَادَمْتَ عَلَيْهِ قَابِئاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [آل عمران: ٧٥]، وللأسف هذا الصنف الأخير هو الذي بيده القيادة الآن وهو الذي يكذب على الله، أفلا يكذبون على الناس؟ بلى يكذبون ويعتبرون غيرهم خدماً لهم، هذا وقد صنفهم القرآن إلى قسمين أميين وهم الكثرة وقادة في التحريف، فقال عن الصنف الأول: (وَمِنْهُمْ أَتَمُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَنْتَوُونَ) [البقرة: ٧٨]، هؤلاء ضالون وقعوا فريسة لهؤلاء الذين قال الله عنهم: (قَوْلِيلَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْرَوْا بِهِ فَمَا قَلِيلًا قَوْلِيلَ لَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ) [البقرة: ٧٩].

الفرق بين عقيدة اليهود والنصارى في المسيح:

هناك فروق جوهرية بين اليهود والنصارى في اعتقادهم في المسيح في مولده وحال حياته وعند رفعه وحال نزوله، وحتى لا نكرر كلاماً سبق أن ذكرناه ساقف الآن عند موقفين نحتاج إليهما الآن:

الأول: موقف اليهود من رفعه.

الثاني: موقفهم عند نزوله.

بالنسبة لاختلاف اليهود والنصارى في المسيح حين رفعه الله إليه، وهذا اعتقاد المسلمين، أما اليهود

فتاوى

من فتاوى الأزهر الشريف

تحرير قبلة الصلاة

س: بنى فاعل خير مسجداً بناحية محتاجة لوجوده ليتقرب إلى الله تعالى وانفق في تشييده وفخامته كل ثروته وكان حرر قبلته أحد المهندسين.

وفي يوم افتتاحه حضر فيه فضيلة رئيس المحكمة الشرعية، وبعد أن تحرى وحقق بنفسه صحة اتجاه قبلته بواسطة البوصلة التي أحضرها معه خصيصاً لذلك، أجاز الصلاة فيه وأداها فضيلته وكثير من العلماء والمتفقهين مراراً عديدة، ثم جاء مهندس آخر ادعى أن بالقبلة انحرافاً لا يخرجها عن الاتجاه الحقيقي، فعلى فرض وجود ذلك الانحراف مع ما في الدين الحنيف والشريعة السمحاء من اليسر أفلا تكون الصلاة فيه صحيحة أو يغلق وتعطل فيه الشعائر الدينية؟

الجواب: اطلعنا على هذا السؤال ونفيد بأنه يشترط لصحة الصلاة لمن لم يكن مشاهداً للكعبة إصابة جهة الكعبة، وجهتها هي التي إذا توجه إليها الإنسان يكون مسامتها للكعبة أو لهوائها تحقيقاً أو تقريباً، ومعنى التحقيق أنه لو فرض خط من تلقاء وجهه على زاوية قائمة إلى الأفق يكون ماراً على الكعبة أو هوائها، ومعنى التقريب أن يكون ذلك منحرفاً عن الكعبة أو هوائها انحرافاً لا تزول به المقابلة بالكلية بأن يبقى شيء من سطح الوجه مسامتها لها أو لهوائها.

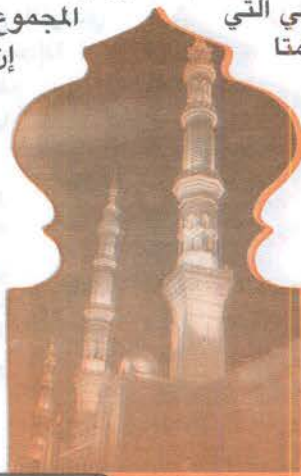
وعلى ذلك فمتى كان المصلي في هذا المسجد غير منحرف عن القبلة انحرافاً تزول به المقابلة بالكلية بل يبقى شيء من سطح وجهه مسامتها لها أو لهوائها صحت صلاته وإلا فلا. هذا والله سبحانه وتعالى أعلم. [المفتي: عبد المجيد سليم]

صلاة الجمعة خلف المذيع غير جائزة

س: يوجد بالناحية جامع بدون إمام ولا مقرر، فهل يجوز سماع القرآن والخطبة من جهاز الراديو وتكون الصلاة بعد الخطبة؟

الجواب:

إنه ورد في الحديث كما رواه البخاري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (صلوا كما رأيتموني أصلي) ولم يصل عليه السلام الجمعة إلا في جماعة وكان يخطب خطبتين يجلس بينهما كما رواه البخاري ومسلم، ولذا انعقد الإجماع على أنها لا تصح إلا بجماعة يؤمهم أحدهم كما ذكره الإمام النووي في المجموع، وقال ابن قدامة في المغني: إن الخطبة شرط في الجمعة لا تصح بدونها، وانعقد إجماع الأئمة الأربعة على ذلك، وعلى هذا لا تصح صلاة الجمعة في هذه القرية المسئول عنها بدون إمام ولا خطبة ولا يكفي في ذلك سماع الخطبة وحركات الإمام من المذيع والله أعلم. [المفتي: حسنين محمد مخلوف].



فتاوى

من فتاوى المركز العام

موضع دعاء الاستغفارة

س٣: متى يقال دعاء الاستغفارة، هل بعد السلام أم قبل السلام؟

الجواب: الأمر في ذلك واسع، وإن كان بعد التشهد وقبل السلام أولى. وبهذه المناسبة نقول للسائل الكريم: اعلم أنه لا علاقة للاستغفارة بالرؤى والأحلام، وإنما إذا استخرت ربك، فشرح صدرك للأمر فتوكل على الله، وإن وجدت ضيقاً في صدرك وانقباضاً فلا تقدم عليه. علماً بأن انشراح الصدر إنما هو شيء يطمئن إليه القلب، لكن لا علاقة له بتحديد وتقرير الخير والشر في المسألة.

هل الرجال يكفرون العشير؟

س٥: هل الرجال تكفرون العشير مثل النساء؟

الجواب: كفران العشير معناه إنكار الإحسان السابق على كثرته لسيئة تكون من المحسن، وهو يكون من الرجال كما يكون من النساء، ولكنه في النساء أكثر، ولذلك خصهن بالذكر.

هل كان نبي الله نوح رسولاً للكافة أم للخاصة؟

س٦: ورد أن من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم أنه بعث إلى الناس كافة، وكان النبي يُبعث لقومه خاصة، فهل سيدنا نوح عليه السلام

يُبعث لقومه خاصة أم للناس كافة؟

الجواب: عموم البعثة من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث، فلم يبعث نبي إلى الناس كافة غيره صلى الله عليه وسلم، وكل نبي قبله كان يبعث إلى قومه خاصة، ونوح عليه السلام أرسل إلى قومه بدليل قوله تعالى: «إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه»، ونحوها من الآيات.

حكم التهرب من دفع قيمة تذاكر المواصلات العامة

س١: ما حكم من ركب القطار ولم يقطع تذكرة؟

الجواب: لا يجوز أن يتعمد الركوب دون أن يقطع التذكرة من المكان المخصص لذلك إلا من عذر، فإذا أتاه المحصل في القطار دفع إليه ثمن التذكرة وأخبره بالمكان الذي ركب منه، فإن لم يأت به المحصل ونزل فعليه أن يقطع من محطة وصوله تذكرة ثم يتلفها. وبذلك تبرأ ذمته.

على المرأة أن تتعهد برزوجها وطاعته

س٢: زوجة لا تمكن زوجها من نفسها، فما حكم ذلك؟

الجواب: يجب على الزوجين أن يعلما حرص الإسلام على استقرار الحياة الزوجية وخلوها من المشاكل التي تعكر الصفو، ولذلك شرع لكل منهما على صاحبه حقوقاً يكفل أداؤها السعادة الزوجية، قال تعالى: «ولهن مثل الذي عليهم بالمعروف»، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنا لكم على أزواجكم حقاً، ولأزواجكم عليكم حقاً. ومن أعظم حقوق الزوج حق الفراش، ولذلك شدد النبي صلى الله عليه وسلم فيه، فقال: إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور». [صحيح الترمذي

١١٦٠]، وقال صلى الله عليه وسلم: إذا

دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح [متفق عليه].

فعلى المرأة أن تتعهد في بر زوجها وطاعته، وأن تلبي له حاجته، وعلى الرجل أن يراعي ظروف امرأته وأن يعذرهما حين تكون مرهقة أو متعبة، وبهذا التفاهم تستقر حياتهم، وتدوم ألفتهم.



سارع اخي المسلم واخوتي المسلمة

بالمشاركة بجزء من مالك ومن
الزكوات أو الصدقات لنشر
التوحيد من خلال المشاركة في
الأعمال التالية:

طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجاناً
تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشاً .. يطبع
من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.

نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة
وتجليد أعداد السنة في مجلد واحد وذلك
لعمل كرتونة كاملة ٢٨ سنة من المجلة.

دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد
- نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء
الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

نحن بانتظاركم .. يمكنكم المشاركة ودعم ذلك

بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي .
.. فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد .

مفاجأة سارة

الآن

موسوعة التوحيد

ببلاش



بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بأحاء الجمهورية .

الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .

أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .

استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقَدِّم ؛ فقط ادفع ٧٥ جنيهاً بعد الاستلام على عشرة أشهر .

من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له

أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُرَكَّب من الفرع .

علماً بأن نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق به من قبل الفرع موجود على موقع أنصار السنة

وصفحة الفيسبوك الخاصة بكل من رئيس التحرير وصفحة مجلة التوحيد .

هدية لكل من يرغب في اقتناء كرتونة المجلدات عبارة عن فهرس عام للمجلة وفهرس موضوعي يسلم بعد طبعه للفروع والمشاركين .

ومفاجأة أخرى
المجلد الجديد لعام ١٤٣٣ هـ
موجود الآن؛ سارع بالحصول عليه بـ ٢٥ جنيهاً فقط



23936517